الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة تطبيقية

قيمة الانسان في ظل التطور البيولوجي المعاصر
–يورغن هابرماس أنموذجا–

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر.

تخصّص: فلسفة تطبيقية

إعداد الطالبتان:

بن حمروش ايمان

سلامة أميرة

اشراف:

د/ مفتاح بن اعمر

أعضاء لجنة المناقشة			
الأستاذ(ة)	**الرتبة**	**الجامعة**	**الصفة**
فرحات فريدة	**أستاذ مساعد قسم –أ–**	**جامعة 8 ماي –قالمة–**	**رئيسًا**
مفتاح بن اعمر	**أستاذ مساعد قسم –ب–**	**جامعة 8 ماي –قالمة–**	**مشرفًا ومقرّرًا**
مرزوقي عبد الحميد	**أستاذ مساعد قسم –ب–**	**جامعة 8 ماي –قالمة–**	**عضوًا مناقشا**

السنة الجامعيّة: 1445–1446هـ– الموافق لـ: 2023–2024 م.

شكر وعرفان

الحمد لله والشكر لله على الوصول على التمام الحمد لله الذي ما تم جُهد ولا خُتم سعي الا بِفضله، بفضلٍ من الله وتوفيقه، أتممنا البحث كما ولابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير، باذلين جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد.

وقبل أن نمضي نقدم أسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة.

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل في قسم الفلسفة وكل الموظفين الإداريين، كما نقدم جزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور. بن اعمر مفتاح التي تفضل بالإشراف على هذا البحث ولم يبخل علينا بالتوجيه والارشاد والمساعدة، فجزاه الله كل خير.

كما نشكر كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث (حياة، منال، بشرى).

اهداء

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

الحمد لله الذي أعاننا على إكمال هذا البحث المتواضع

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من قال في حقهما الرحمان "ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريم"

إلى من كرمها الله وجعل الجنة تحت قدميها إلى من صبرت على كل شيء وكانت دعواتها تتبعني خطوة بخطوة أمي الغالية

وإلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له أماله إلى الذي سهر على تعليمي والذي علمني كيف يكون الصبر طريق النجاح أبي الغالي

إلى من قاسموني رحم أمي إلى القلوب الكبيرة التي ألجأ إليها وقت الشدائد إلى سندي في الحياة بعد الوالدين إخوتي وصال وسيم محمد يحي

إلى من كان قدري ونصيبي إلى صاحب القلب الطيب إلى جمال الروح الذي بقربه تبدو أبسط الأشياء مفرحة إلى من كان لي سند وعطاء وقدم لي الكثير زوجي نعيم

إلى من مدت لي يد العون وساعدتني في كتابة هذه المذكرة أغلى حبيبة ورفيقة صاحبة الحنان

والوجه البشوش منال

الى من تقاسمت معي افراحي واحزاني رقيقة القلب المروة

إلى من افتقدتها وأخذها الموت إلى من تركت لي فراغ في قلبي عمتي حليمة رحمها الله

إلى من سعدت بتعرف عليهم في الجامعة وجمعنا القدر مع بعضنا، إيمان قمر سماح وفاء حسناء مروة ريمة

إلى أساتذتي الأفاضل حفظهم الله ورعاهم

أهديكم ثمرة هذا الجهد المتواضع سائلة الله عزوجل أن ينفعنا به ويمدنا بتوفيق

اميرة

اهداء

اهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى من كلله الله بالهيبة والوقار في حياته، إلى من احمل اسمه بكل افتخار إلى ابي رحمه الله الى فقيدتي الغالية أمي (جدتي) رحمها الله.

الى ملاكي التي ربت وتعبت من أجلي أمي الحبيبة

إلى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي إلى العقد المتين إخوتي البنات اخي.

الى من كان سند الظهر بالأمس والغد داعمي الأبدي.

الى صغيري ابن اختي يمان.

الى صديقتي ورفيقة الدرب حياة وعائلتها التي لطالما كانت الحضن والمسكن الذي رحب بي بكل حب دوما.

إلى صديقاتي رفقاء السكن الجامعي وفاء، ريمة، تيماء، قمر، أميرة، سماح، رميساء.

إلى نفسي القوية العظيمة التي تحملت كل الفترات وأكملت رغم كل الصعوبات.

إلى منارة العلم والعلماء الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة اساتذتي الافاضل.

ولكل من اعطاني يد العون من قريب أو بعيد وساعدني في إنجاز هذه المذكرة وأخص بالذكر الاستاذ المشرف د. بن اعمر مفتاح.

فمن قال انا لها نالها وإن أبت رغما عنها أتيت بها فالحمد لله شكرا وحبا وامتنانا على البدء والختام.

اللهم انفعني بما علمتني وزدني علم

ايمان

مقدمة

مقدمة

شهد العصر الحديث والمعاصر تطور علمي رهيب وسريع، حيث لم يتوقف الطموح الإنساني عن البحث بغية السيطرة على الطبيعة وإخضاعها بواسطة العلم ومناهجه، وبعد أن تحقق له ذلك راح يبحث عن سبل السيطرة على الإنسان، فأصبح الإنسان في حرب ضد الإنسان، بفعل التقنية والتكنولوجيا، التي كانت نتاج للحداثة العلمية، تحول هذا الجموح إلى أغراض وغايات مادية وسلطوية بعيدة عن القيم الأخلاقية التي تمثل الجوهر الإنساني، وهذا راجع الى اكتشاف الحمض النووي والخارطة الوراثية وتطوير هندسة الجينات، فأصبح الإنسان يتدخل في الأشياء الدقيقة للعضوية الإنسانية التي أصبحت محل تجارب بفعل الطموحات العلمية التي ليس لها حد معين، ومن هنا ظهرت المخاوف وأعيد طرح سؤال الأخلاق والعلم حول قيمة الإنسان ومستقبله ومصيره، إذ أصبح يعاني من أزمة أخلاق حقيقية، فأصبحت كل أفعاله معللة باسم الحرية والمساواة، مما ينتج عنهما موت الأخلاق في المجتمعات ما بعد الحديثة لتتبلور أزمة الإنسان المعاصر الأخلاقي، يطرح من خلالها سؤال حول إمكانية وجود مجتمعات إنسانية بلا قيم، وعليه ظهرت حقول أخلاقية تحاول أخلقة التقنيات والعلم من خلال استحداث فرع يسمى الأخلاق التطبيقية تدرس التكامل العلمي بين الأخلاق والعلم والبيولوجيا، وهذه الأخيرة تهدف للدمج بين القيم والمفاهيم البيولوجية المتعلقة بالطب والصحة، ويهتم هذا العلم بضرورة تحقيق التوازن بين التوجه العلمي والثورة البيولوجية مع القيم الأخلاقية والإنسانية، كما تهتم بمختلف مجالات الحياة الإنسانية وأخلاقيات الطب الحيوي (التلقيح الاصطناعي، الخلايا الجذعية، استنساخ الأجنة، الجينوم البشري) وفق دراسة فلسفية تعد لقاء آخر بين الفلسفة والعلم، فكانت الغاية الأساسية لفلسفة الأخلاق التطبيقية تتمثل في تأطير التقنيات البيولوجية وفق مبادئ أخلاقية وتنظيم ممارسات الأطباء والبيولوجيين، لذا لم يعد اهتمام فلاسفة الأخلاق اليوم ينصب على الأخلاق النظرية وتحديد ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني، بل تحول الاهتمام بقضايا ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني، لهذا حاولت فلسفة الأخلاق التطبيقية إحداث التوازن بين القيم الأخلاقية والتطورات العلمية الجديدة التي باتت تشكل خطرا على كينونة وقدسية وكرامة الإنسان، وفي هذا الشأن قدم هابرماس رؤيته النقدية للتقنيات البيولوجية التي من شأنها تغيير الطبيعة البشرية انطلاقا من نقده للعقلانية الأداتية وتأسيسه للعقلانية التواصلية وتقديمه رؤية مستقبلية حول قيمة الانسان ومصيره في ظل هذا التطور البيولوجي، لذلك كان بحثنا موجه نحو معرفة تأثير هذه التقنيات على الإنسان وموقف هابرماس منها.

وما دفعنا الى الخوض في هذا الموضوع هو أهميته البالغة في مجال البحث العلمي، وتكمن هذه الأهمية في:

- كونه يتعرض لواحدة من أهم المسائل المرتبطة بالفلسفة المعاصرة، وهي قيمة الإنسان في ظل التطور البيولوجي المعاصر.
- إبراز موقف هابرماس من التقنيات البيولوجية.
- مدى تأثير التقنيات البيولوجية على الأخلاق وقيمة الإنسان.
- تحليل ومناقشة مختلف الأراء حول القضايا البيوإتقية.
- ارتباط مشكلات الموضوع بالواقع اليومي المعاش.

ولقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب عدة:

1/ بالنسبة للأسباب الذاتية لاختيار الموضوع فتتمثل في:

- ميولنا للفلسفة التطبيقية التي تشمل مواضيع تطبيقية عكس المواضيع النظرية.
- الرغبة في خوض غمار البحث في الفكر الغربي المعاصر واكتشاف أفكاره ومضامينه لأنه فكر يعالج الراهن والمشكلات التي يعانيها الإنسان المعاصر.

2/ أما بالنسبة للأسباب الموضوعية لاختيار هذا الموضوع فتتمثل في:

- الرغبة في معرفة مدى أهمية الفكر الأخلاقي ليورغن هابرماس ومدى تأثيره للتجاوزات العلمية.
- الرغبة في معرفة العلاقة بين الفعل التواصلي الممثل في المجتمع ومدى نتائج الثورة العلمية.
- ترغيب الأستاذ المشرف لنا بخوض غمار هذه التجربة العلمية المفيدة، لأنها موضوع الساعة وتعالج المشكلات الراهنة بعد طغيان العلم واضمحلال الجانب الأخلاقي.

أما الهدف المنشود من هذه الدراسة فيتمثل في معرفة بداية ظهور التقنيات البيولوجية منذ الحداثة والفتوحات العلمية، ومعرفة مدى خطورتها وتأثيرها على القيم الأخلاقية ومستقبل الإنسان ومصيره، وإظهار موقف يورغن هابرماس حولها، وكذا جملة الحلول التي قدمها لتجاوز أزمة العالم المعاصر من خلال تقديمه نقدا شديدا لهذه التقنيات.

ينطلق بحثنا من إشكالية عامة تحاول أن تعالج مضمونه كانت كالتالي:

مقدمة

*أي قيمة للإنسان في ظل التطور البيولوجي والعلمي المعاصر؟ ما مستقبله ومصيره؟ وما مدى تأثير التقنيات البيولوجية على القيم الإنسانية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية في قالب منهجي منظم يؤخذ التسلسل المنطقي والزمني، لعرض الأفكار وتحليلها ونقدها، اعتمدنا خطة مكونة من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

- تناولنا في الفصل الأول الحداثة والفتوحات العلمية، حيث يحتوي على ثلاث مباحث، يتضمن المبحث الأول: مفهوم الحداثة وإرهاصات نشأة الثورة البيولوجية، أما المبحث الثاني: يتضمن الثورة البيولوجية من حيث النشأة والتطور، والمبحث الثالث: كان مخصص لأهم التقنيات المعاصرة للثورة البيولوجية.
- أما الفصل الثاني تناولنا فيه موقف يورغن هابرماس من التطور البيولوجي المعاصر، حيث تعرضنا في المبحث الأول: لحياة الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، والمبحث الثاني والثالث تطرقنا فيهما لموقف هابرماس من تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة (موقفه في كل من التحسين الجيني، وإشكالية الاستنساخ، الإخصاب الصناعي وعملية الزرع بالأنبوب.)
- أما الفصل الثالث تناولنا فيه الفكر البيوإتيقي ومدى إسهامه في كبح التدخلات العلمية والتقنية للكائن الحي حيث شمل المبحث الأول العقلانية التواصلية ومستقبل الطبيعة الإنسانية، أما المبحث الثاني الفكر البيوتقني بين المعارضة وتأييد، والمبحث الثالث تطرقنا فيه إلى مستقبل القيم الإنسانية .

أما الخاتمة فكانت الحوصلة النهائية للبحث، تناولنا فيها نتائج البحث والنقاط المتوصل لها.

وبما أن لكل خطة منهج علمي تسير عليه، فقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج التحليلي النقدي، لأن بحثنا هذا لا يخلو من العرض والتحليل والنقد للأفكار، كما استعنا بالمنهج التاريخي لأن الضرورة التاريخية استلزمت ذلك بالرجوع إلى الأفكار والتأصيل لها.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا الموضوع نذكرها كالتالي:

- مدى اتساع وشمولية الموضوع وصعوبة حصره لأنه يحتوي العديد من المعلومات والمعارف وتعدد المواقف والرؤى.
- صعوبة فهم وشرح الأفكار لأنها تندرج أغلبها في الجانب العلمي.
- صعوبة إسقاط الخطاب الفلسفي على الخطاب العلمي.

- كذلك من بين أهم الصعوبات التي واجهناها في هذا البحث هي فهم أفكار يورغن هابرماس وإشكالية الترجمة، وقلة المراجع التي يتحدث فيها هابرماس عن المجال البيولوجي ماعدا استثنائنا لكتابه مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية.

أما فيما يخص المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا الموضوع نذكر منها على سبيل المثال: كتاب مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، وكتاب القول الفلسفي للحداثة، وكتاب العلم والتقنية كإيدلوجيا.

الفصل الأول: الحداثة والفتوحات العلمية

المبحث الأول: مفهوم الحداثة وارهاصات نشأة الثورة البيولوجية.

أولا: في مفهوم الحداثة.

ثانيا: مفرزات الحداثة وارهاصات نشأة الثورة البيولوجية.

المبحث الثاني: الثورة البيولوجية النشأة والتطور.

أولا: مفهوم الثورة البيولوجية.

ثانيا: نشأة الثورة البيولوجية ومراحل تطورها

المبحث الثالث: التقنيات المعاصرة للثورة البيولوجية.

أولا: الجينوم البشري.

ثانيا: الخلايا الجذعية.

ثالثا: استنساخ الأجنة البشرية.

رابعا: التلقيح الاصطناعي.

تمهيد:

يعتبر موضوع الحداثة الغربية وما جاءت به من فتوحات علمية في مختلف المجالات من المواضيع المهمة في الفلسفة المعاصرة باعتباره رؤية حضارية جديدة ساهمت في تغيرات نوعية على كافة الأصعدة الفلسفية، هذه الرؤيا الحضارية لم تكن وليدة لحظة واحدة، بل جاءت نتيجة تراكمات معرفية مترابطة أفرزتها جملة من الوقائع والأحداث التي ميزت البيئة الأوروبية ودفعت الفكر البشري إلى التقدم وابداع مفاهيم وتقنيات تكنولوجية جديدة، يساير من خلالها الاكتشافات العلمية التي أدت الى إحداث ثورة بيولوجية تهدف الى فهم طبيعة الحياة وكشف أسرار الشفرة الوراثية والتحكم بها وتعديلها بمختلف التقنيات المعاصرة، ولهذا تطرقنا في هذا الفصل لضبط مفهوم الحداثة لغة واصطلاحاً داخل السياقات الغربية والعربية، والاحاطة بالمعنى الابستيمي للحداثة بالمعنى الدقيق لبناء تصور واضح حول ماهية الحداثة. كما كذلك قمنا بسرد السياق التاريخي لتشكل الحداثة، لنصل بعدها الى مفرزات الحداثة التي شكلت الثورة البيولوجية نشأتها وتطورها، والتعرف في المبحث الأخير على أهم التقنيات المعاصرة لهذه الثورة.

المبحث الأول: مفهوم الحداثة وارهاصات نشأة الثورة البيولوجية

تمهيد: الحداثة هي حركة فلسفية ونمط حضاري وهي من أهم القضايا التي توصل إليها الإنسان من تطورات فكرية التي تجسد فيها مستوى الوعي الذي توصلت إليه المجتمعات الغربية، وقد حاولنا في هذا المبحث التطرق إلى مفهوم الحداثة وما جاءت به.

أولا/ في مفهوم الحداثة:

1.<u>السياق اللغوي للحداثة:</u> «إنّ الحداثة في الدلالة اللغوية داخل المعجم العربي مشتقة من الفعل الثلاثي "حدث" بمعنى وقع، والحديث نقيض القديم، وأحدث الله شيء بمعنى أوجده، والحدوث مرادفا للحداثة»[1]، «الحديث في اللغة نقيض القديم ويرادفه الجديد ويطلق على الصفات التي تتضمن معنى المدح أو الذم، الحديث يتضمن معنى المدح صفة الرجل منفتح الذهن، المحيط بما انتهى إليه العلم من الحقائق المدرك لما يرافق روح العصر من الطرق والآراء والمذاهب والحديث الذي يتضمن معنى الذم صفة الرجل قليل الخبرة سريع التأثر، المقبل على الأغراض التافهة، دون الجواهر العميقة، والمعرض عن القديم لمجرد قدمه لا لخبثه وفساده»[2]. «جاءت كلمة الحديث في معجم تهذيب اللغة للأزهري شاب حدث: فتئ سن، والحديث: الجديد من الأشياء»[3].

«أما في الثقافة الغربية فالحداثة تحمل مدلولا غير الذي ألفناه في اللغة العربية فالحداثة في اللغة الفرنسية Modernité مشتق من جذر mode وهي الصدفة أو الشكل أو ما يبدأ به الشيء فاللفظة العربية ترتبط بما له أكثر من دلالة عما متوقع أنه يحدث، فالشكل ليس هو المهم ليس هو الصورة التي تبرز، فإن ما

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.س)، ص 3348.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي بألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، جزء 2، دار كتاب اللبناني، بيروت، (د. ط)، ص ص 445، 455.

[3] ابو منصور بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ترجمة: عبد السلام العرباوي، الجزء 4، دار المصرية لتأليف والترجمة، القاهرة، (د.س)، ص405.

يحدث يثبت بواقعيته وراهنتيه »[1]، أما لالاند في موسوعته الفلسفية فيرجع «استعمال كلمة moderne إلى القرن العاشر في السجلات الفلسفية أو الدينية. ويكاد يستعمل دوما بمعنى ضمني وإما عامي، حيث يشير إلى الاستعمالات الرئيسية لكلمة حديث، ويفرق بالنسبة إلى الاستعمال الراهن من جهة، بين حداثة صحيحة، تتوافق مع التشكيلات الفكرية الحقيقية المتصاعدة والضرورية، ومن جهة ثانية، الحداثة سطحية einflachmoderne تقوم على جهل التراث، حب الجديد مهما يكن الاضطراب، المطالبة والمزايدة»[2] تدل كلمة الحداثة في أولى مقاصدها على منظومة الظواهر الجديدة التي تتعارض مع كل ما هو تقليدي قديم، وحسب تصور هابرماس فإن لفظ "الحديث" قد ظهر قبل لفظ الحداثة وبالعودة إلى أصلها اللاتيني نجدها مشتقة من ظرف حالي تعني موجود في صيغته المسيحية ضمن التراث الروماني وهي تحيل أيضا إلى ما يقع في الزمان وينبثق عنه.[3] كما ينبغي التنبيه إلى أن لفظ الحديث في اللغة لا يعني التحديث فلفظ التحديث يحمل دلالة غير دلالة الحداثة، فالتحديث كلمة لم تظهر إلا في الخمسينيات، حيث يشير مفهوم التحديث إلى جملة من السيرورات التراكمية يشد بعضها بعضا فهو يعني بناء تحديث الموارد وتحويلها إلى رؤوس أموال ونمو القوى الإنتاجية.[4] والملاحظ من خلال التعاريف اللغوية السابقة معنى الحداثة لم يخرج عن معنى الجديد الذي يرمز للقوة والجمال والإشراق وكل ما ابتدعه الناس من أمور لم يعرفها الدين من قبل

2.السياق الاصطلاحي للحداثة:

إن مصطلح الحداثة من أكثر المصطلحات إشكالا وغموضا فهو مصطلح متقلب ومراوغ عسير التحديث، لذلك تعددت تعريفات الحداثة، باختلاف النقاد والمهتمون بدراسة الحداثة، ففي البداية ينبغي التمييز بين مصطلحين رئيسين أولا لفظة Modernité والتي تشير الى الحداثة كمشروع ومفهوم بمعناه الانتقالي المستمر ولفظ Moderes والتي تعني حقبة تاريخية أو مذهب، تقترن دلالة التسمية بالانتماء

[1] مطاع الصفدي: نقد العقل الغربي والحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1990، ص223.

[2] أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، البنان، ط2، 2001، ص822.

[3] الناصر عبد اللاوي: الهوية والتواصلية في تفكيرها برماس، دار الفات، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص78.

[4] يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص09.

إليه ...أي ما تقرر معناه من خلال حقبة النشأة والاستقرار من القرن 17 الى منتصف القرن 19[1]. يجب التمييز بين مصطلح الحداثة modernité مصطلح التحديث Malarnisation فالتحديث يدل على بناء الموارد وتحويلها إلى رؤوس أموال ونمو القوى الإنتاجية. وزيادة إنتاجية العمل كما يشير إلى إنشاء سلطات السياسة المركزية وتشكل الهويات القومية ونشر حقوق المشاركة السياسية وأشكال العيش المدني والتعليم العام وعلمنة القيم والمعايير[2].

يقول الروائي الفرنسي فلوبير Flaubert عن الحداثة: الحداثة هي تعصب للحاضر ضد الماضي بمعنى أن الوعي الحداثي ليس تشيع لسلطة ماضاوية وحنينا إلى أصل تليد وحقبة ذهبية، بل هو تمجيد للحاضر وانفتاح على الآتي[3]، إن مفهوم الحداثة عنده مرتبط بالزمن والكتابة ولعل القطيعة مع الماضي.

الحداثة في نظر جورج بلاندي تستعمل لوصف الخصائص المشتركة للبلدان الأكثر تقدما على صعيد التنمية التكنولوجية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية [4]، وبهذا نفهم أن الحداثة هي العمل على تحقيق تصور مجتمع يخضع لنظام كوني واحد والذي يتمثل في الخضوع للعقل الذي يساعد على تقدم التاريخ.

يعرفها جان بودريار بقوله ليست الحداثة مفهوما سوسيولوجيا أو مفهوما سياسيا أو مفهوما تاريخيا بحصر المعنى، وإنما هي صفة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد ... ومع ذلك تظل الحداثة موضوعا عاما يتضمن في دلالته إجمالا الإشارة إلى تطور تاريخي بأكمله وإلى تبدل الذهنية[5].

كما يعد تعريف آلان تورين، مفهوم الحداثة من أكثر التعاريف إحاطة بوضع الحداثي حيث يقول: الحداثة في شكلها أكثر طموحا هي تأكيد على أن الإنسان هو ما يفعله، وأنه من الضروري وجود توافق بين منتجات العلم والتكنولوجيا والإدارة وتنظيم المجتمع من خلال القوانين بين حياة الشخصية التي تحفزها

[1] علي عبود محمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 86.

[2] يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص09.

[3] محمد شيكر: هيدغر وسؤال الحداثة، اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1996، ص31.

[4] محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (نموذج هابرماس) أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1982، ص39.

[5] محمد سبيلا، وعبد السلام بن عبد العالي: الحداثة وانتقاداتها نقد الحداثة من منظور غربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص07.

المصلحة وإرادة التحرر من كل الاكراهات وإن تساءلنا: على أي شيء يتركز هذا التوافق بين الثقافة العلمية والمجتمع المنظم والأفراد الأحرار؟ فسيكون الجواب على انتصار العقل لها[1].

ويذهب جون ماري دومیناك في هذا الصدد إلى القول بأن: «الحداثة تعني اتاحة التطور والتفتح لكل الإمكانيات والاحتمالات من أجل أن يتمكن الفرد من التمتع بها أي تنمية القوى المنتجة والوعي بالذات.»[2]، ومعناه أن الحداثة تفتح آفاق جديدة للتقدم والتطور والتحرر من كل القيود، حيث تعطي للفرد كل الإمكانيات المتاحة له، وبناءا على هذه التعريفات التي قدمت للحداثة باختلاف مواقف وأيديولوجيات أصحابها، يمكن القول بأن الحداثة حركة فكرية حديثة وشاملة كرؤية جديدة للعالم، تهدف إلى تحرير الإنسان من الماضي ودفعه نحو التقدم والتغيير.

ثانيا: مفرزات الحداثة وارهاصات نشأة الثورة البيولوجية.

لقد اختلف الباحثون الذين أرخوا للحداثة الغربية وحول بدايتها كثيرا فهناك من يرجعها إلى عصر النهضة وحركات الإصلاح الديني والثورة الصناعية وانفصال الدين عن الفن، وهناك من يرجعها أو يرجع بدايتها الأولى إلى عهد الثورة الصناعية الثانية، وانطلاق أول قمر صناعي للفضاء والثورة الروسية سنة 1917، فالحداثة لم تنشأ من فراغ بل هي امتداد لإفرازات المذاهب والتيارات الفكرية والاتجاهات الأدبية والإيديولوجية المتعاقبة التي عاشتها أوروبا في القرون الماضية، أين قطعت فيها صلتها بالدين والكنيسة وتمردت عليهما، وقد ظهر ذلك جليا منذ ما عرف بعصر النهضة في القرن 15 ميلادي، عندما انسلخ المجتمع الغربي عن الكنيسة، فهي نتيجة تحول من مجتمع اقطاعي إلى برجوازي، ومن التقدم الصناعي الى التقدم التقني[3]. وهناك من يرى أن جذور الحداثة وارهاصاتها تعود إلى تحول الطرق التجارية العالمية في السنوات الألف الميلادية إلى ازدهار الجمهوريات الإيطالية تبعا لذلك التحول[4]، وإلى أحداث تاريخية كبرى كاكتشاف العالم الجديد من طرف كريستوف كولومبوس عام 1492 وسقوط بيزنطة عام 1453،

---

[1] علي حرب: أزمة الحداثة الفائقة –الإصلاح –الإرهاب –الشراكة، مركز الثقافي العربي، ط2، 2005، ص25.

[2] بوزيرة عبد السلام: طه عبد الرحمان ونقد الحداثة، جداول، بيروت، ط1، 2011، ص29.

[3] عدنان علي رضا النحوي: الحداثة في منظور إيماني، دار النحوي لنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1989، ص 24.

[4] رمضان بن رمضان: الفكر الديني تحت المجهر، مجلة البيبلوغرافيا، العدد 13، مؤسسة ملك عبد العزيز آل سعود الدراسات الإسلامية والإنسانية: دار البيضاء، المغرب، 2005، ص05.

وأحداث علمية وتقنية هامة، كاكتشاف الطباعة مع غوتنبارغ سنة 1440، إضافة إلى ما ذكرناه حول فلكليات كوبرنيك 1526، واكتشاف الدورة الدموية وأحداث فكرية مهمة، كالنهضة الفنية والأدبية في إيطاليا وأطروحات مارتن لوثر 1517[1]، ساعدت كل هذه الاسهامات في تبلور العقل النقدي الغربي واجتماع أجزائه في شخص رونيه ديكارت، وعليه وإن كانت الحداثة الغربية لم تشرع في التماس الوعي بذاتها الى بعد مضي ثلاث قرون من انطلاق حركاتها ويعود ذلك الى هيجل مرور بكانط إلى أن البراعم الأولى لهذا الوعي يكون قد أرسى دعائمها رونيه ديكارت، حيث يعتبر هذا الأخير المؤسس الحقيقي للفلسفة الحديثة، حتى لقب بأبو الفلسفة الحديثة، وذلك لأنه فتح بابا جديدا على الحياة في هذا العالم، في حقبة ثُبطت فيها يقظة العلم بفعل بقايا اللاهوت، فديكارت في فلسفته يمجد الفرد الذي يفكر بصيغة نقدية لاعتباره ذات المفكر، فالإنسان هو الفكر الخالص وهو أيضا مرادف للوجود، ولقد أصبحت للذات أولوية مطلقة على العالم[2]، وهذا يعني أن التحرر الذي بني على هدم وتحطيم الموروث التقليدي اللاهوتي.

وقد كان بداية سيطرة الإنسان على الطبيعة وتوجيه الصراع لصالحه بواسطة العقل الذي يضع الحد الفاصل بين عالم الآلهة وعالم الإنسان، فالفكر الحداثي مرتبط بالفكر العقلاني، وقد قدر أن يكون الإشعاع الذي فجر الثورة هو القول بالمذهب الآلي الذي يفسر كل شيء بحسب قوانين آلية يمكن التحكم فيها كما يعد مؤسسا للمذهب الذاتي القائل بأن الفلسفة تأسست على الفكر[3]، و بهذا يكون ديكارت أول من أرسى دعائم العقلانية عن طريق الكوجيتو الذي بدوره أعلن عن انطلاق فلسفة الوعي بالوجود وتكون بذلك فلسفة الذات قد أعلنت عن نفسها مع هذه الصرخة الديكارتية ويرى الاف رونو أن الكوجيتو الديكارتي هو أول إرهاصات الحداثة[4]، ولو أن المسار لم ينفصل عن شك المنهجي الذي اتخذه ديكارت لتنقية الأجواء الفكرية والفلسفية.

---

[1] محمد سبيلا: الحداثة وما بعد الحداثة، دار توبقال لنشر، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص22.

[2] فيصل عباس: الفلسفة والإنسان –جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة، دار الفكر العربي، بيروت، ط11، 1999، ص165.

[3] بوخنسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عبد الكريم الوافي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، (د.ط)، (د.س)، ص ص28، 29.

[4] سعاد حرب: في الفرد والحداثة عند نتشه، مجلة اوراق فلسفية، العدد الاول، 2000، ص5.

وفي ظل محاولة إيجاد الإجابات المختلفة للمشاكل التي تواجه الإنسان والدعوة إلى تحريره وتحقيق سعادته على مستوى تطبيقي لا مستوى التنظير وفق الأسس العقلانية والذاتية والحرية إلى أن نهاية القرن 19 كانت مليئة بمظاهر الاختناق والمآسي على كل المستويات السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، مما يؤكد إذا سلمنا بطوباوية المبادئ التي جاءت بها الحداثة – بهوة سحيقة بينما كان يدعو إليه المشروع الحداثي وما وصل إليه في نهاية الأمر وهو ما دفع البيولوجي الفرنسي آلان توران في كتابة الخطاب الفلسفي للحداثة القول: «إن العقل الاجتماعي الثقافي الغربي منذ أواخر القرن 19، لا يمثل مرحلة جديدة في مسار الحداثة بقدر ما يمثل مرحلة نقصها وتفكيكها»[1]

برغم ما كانت تدعو إليه الحداثة وما وصلت إليه إلى أن قراءتها على نحو مختلف ليس على مستوى المبادئ وعلى مستوى النتائج التقنية والصناعية، وإنما انعكاساتها على كرامة وقيمة الإنسان وجوهره الاجتماعي والروحي، فقد رافقت مفاهيم الحرية، المساواة، العدالة، الرفاهية، التي نادت بها الحداثة واندست بين جوانبها تعابير الاستلاب، العبودية، الطبقية والاستغلال وتحول الإنسان في نهاية المطاف إلى وسيلة وليس إلى غاية في ذاته، فالحداثة هانت قيمها ومبادئها وأصبح بموجبها الأفراد خاضعين بسوط آليات كبيرة من السيطرة والهيمنة، فأضحت الحرية كأهم مقولة حداثية أفرزتها العقلانية شكلية وباهتة[2] . إن التطور التكنولوجي الذي بلغته الحداثة لخنق العالم، في شبكة مسالمة وعقلانية متحفظة، فيما تنتشر جرائم الأحداث العاطلين عن العمل والعنف وفقدان حسن المواطنة والحياة للمدينة وانتشار النار في الهشيم على شكل حرب يخوضها الكل ضد الكل والفرد ضد ذاته وغيره[3]، فمن يمسك لجاما للعقل الجامح الذي أضحى ذا بعد ملموس مادي، لا يأبه بما هو أخلاقي، ولا يحتضن إلا ما هو أداتي، وبراغماتي فإن: التقنية تمثل أزمة الخط الإنساني، لأن انتصار العقل ينفي القيم الإنسانية فالتقنية سيرورة معممة لإنسانية فقدت إنسانيتها[4]، وبهذا مهدت الطريق نحو الثورة البيولوجية.

---

[1] نقلا عن رفيق بوشكالة في مقاله، مأزق الحداثة/ الخطاب الفلسفي لمبعد الحداثة، مجلة اسلامية معرفة، العدد السادس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: بيروت، لبنان، 1996، ص112.

[2] رضوان جودت زيادة: صدى الحداثة / ما بعد الحداثة في زمنها القادم، مركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط1، 1982، ص21.

[3] سعود المولة: تجاوز الحداثة، مجلة الملتقى، العدد الثالث، 2001، ص12.

[4] المرجع نفسه، ص13.

المبحث الثاني: الثورة البيولوجية النشأة والتطور

تمهيد: لقد شهد العالم تطورات هائلة في الميدان العلمي في عصرنا الحالي، ومن بين هاته التطورات نجد البيولوجيا التي تهتم بدراسة الحياة البشرية والتي جعلت من الإنسان محل للتجارب العلمية، وقد حاولنا في هذا المبحث الإجابة على السؤال التالي: ما هو مفهوم الثورة البيولوجية؟ وكيف نشأت؟

أولا: مفهوم الثورة البيولوجية.

قبل أن نتطرق إلى مصطلح الثورة البيولوجية وجب علينا ان نحدد طرفي المصطلح.

1.مفهوم الثورة:

يعرفها مراد وهبة فيقول: «الثورة Rovolution الذي جذرها العربي ث و ر ة يدل على الطفرة، على الانبعاث يقال الشيء يثور ثورا و ثوران و منه ثور رجل آخر أي وثبه كأن واحد منهما ثار على صاحبه، المقابل بالفرنسية Revolution من اصل لاتيني ومعناه رجع على أعقابه، فهنا ايضا كما جاء في الجدر العربي حركة وتحول» [1]، ويقول عنها ألبرت كامو Albert Camus «إن تناقض الأخير في أعظم ثورة عرفها التاريخ لا يبلغ أبدا على كل مبلغا بحيث تطمح إلى العدالة ... خلل سلسلة متصلة من أعمال الظلم والعنف ... مأساة الثورة، مأساة العدمية، وتختلط بمأساة العقل المعاصر الذي، في طموحه الكلي، يكدس ما ينزل بالإنسان من تشويهات. الكلية ليست الوحدة. وحتى لو امتدت الأحكام العرفية إلى تخوف العالم، فهي ليست احلال الانسجام. المطالبة بالمجتمع العالمي لا تبقى، في هذه الثورة، إلا بنبذ ثلثي البشر، وبطرح تراث الأجيال العجيب، وبإنكار الطبيعة والجمال لصالح التاريخ، وباجتثاث عظمته»[2]، نفهم من هذا التعريف الفلسفي للثورة أنها عبارة عن تغيير في الأوضاع والمبادئ والمفاهيم أي أنها تحولات تحدث في الظواهر، فالانتقال من نموذج إلى آخر هو ثورة علمية.

2. مفهوم البيولوجيا:

[1] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مادة الثورة، دار قباء، القاهرة، ط5، 2007، ص 231.

[2] ألبرت كامو: الانسان المتمرد، تر: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1980، ص 299.

تعرف البيولوجيا بأنها: «مصطلح بيولوجيا Biology، Biologie، من وضع لامارك للدلالة على علم الموجودات الحية بوجه عام، ومن حيث الموضوع هو علم النبات وعلم الحيوان، ومن حيث المشكلات هو المورفولوجيا، والفيسيولوجيا. تتميز البيولوجيا بنوع معين من التفسير فيما يخص بالتطور الذي يبحث من العلة الغائية وليس على العلة الفاعلية بتعبير أرسطو أو بتعبير كانط على تنظيم ذاتي تكون فيه العلاقة متبادلة بين العلة والمعلول وبين الجزء والكل»[1]، بمعنى أن البيولوجيا هي علم الذي يدرس الكائنات الحية على اختلافها من حيث البنية الجسدية والوظائف الحيوية والوسط البيئي الذي تعيش فيه.

أما لالاند فقد عرفها بأنها: «مفردة ابتكرها لامارك لتدل على علم الكائنات الحية أي علم النبات والحيوان من حيث الموضوع، وعلى علم التشكيل والوظائف مع كل تفرعاتها من حيث الوسائل»[2]، بناء على هذه التعريفات السابقة لمفهوم البيولوجيا نجد أنها تحمل مدلولات واحدة على رغم من تعدد تفسيراتها التي تدل في الأخير على ذلك العلم الذي يبحث في خصائص الكائنات الحية وفي تركيبها الداخلي وتطورها ونشأتها الحيوية وتفاعلاتها مع البيئة المحيطة بها.

3.مفهوم الثورة البيولوجية:

بجمع المصطلحين السابقين يتشكل مصطلح الثورة البيولوجية الذي يدل على حدوث حركة تحويل على مستوى الوسائل في مجال التعامل مع هذه الكائنات، واختلاف الوسائل والأدوات، ذلك نتيجة التطورات العلمية الحاصلة التي أفرزتها بدورها مجالات وفروع البيولوجيا، التي حملت في طياتها جوانب سلبية أكثر منها إيجابية، خاصة بعدما غيرت مجال اهتماماتها واختصاصها بعالم النبات والحيوان إلى عالم الإنسان[3]، دخول الإنسان كعنصر أساسي في تركيب هذه التجارب يعني أن يفقد حرمته وقدسيته وحقوقه الأخلاقية التي لا يمكن التغاضي عنها[4].

---

[1] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص ص 148، 149.

[2] اندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، الجزء الاول، مرجع سابق، ص 136.

[3] ناهد البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني لثقافة والفنون وآداب، الكويت، العدد 174، 1993، ص206.

[4] ناهد البقصمي: الهندسة الوراثية والاخلاق، المرجع نفسه، ص 206.

ثانيا: نشأة الثورة البيولوجية ومراحل تطورها

1.نشأة الثورة البيولوجية:

ظهرت الثورة البيولوجية عام 1959 عندما ألف "تشارلز داروين" كتاب أصل الأنواع origine des éspéces وقدم فيه نظرية التطور والارتقاء التي أعطت أول مبدأ لمعنى الحياة، بالاعتماد على مبدأ الانتخاب أو الاصطفاء الطبيعي la sélection naturelle الذي يعتمد على اللياقة، ويعتبر أن الكائن الحي كلما كان أكثر لياقة وقدرة على التكيف بالنسبة لشروط بيئته كلما زاد النسل الذي ينجبه، ذلك النسل القادر على الحياة، حتى يتمكن هو الآخر من إنجاب نسله الخاص[1]، يعتبر داروين أن كل أنواع الحياة الحاضرة عبارة عن شجرة عائلية ارتقائية عظيمة. «في عام 1865 ولد الدراسة العلمية لعلم الوراثة على يد "ماندل" خاصة التي كانت تهدف إلى توضيح كيفية توزيع هذه الصفات الوراثية على الاجيال الجديدة، واتضح أنذاك: أن كل كائن ينقل إلى نسله مجموعة من الوحدات الوراثية المسماة الجينات التي نقلها إليه الأبوان ... وكان ذلك إنقاذا لنظرية داروين في الانتخاب الطبيعي. وفي عام 1900 اعيد اكتشاف ماندل بالإضافة الى اكتشاف تغييرات مفاجئة ودائمة يمكن حدوثها في الجينات أطلق عليها اسم الطفرات أو افتجاءات mutations وتؤدي إلى حدوث تغيير في الصفة الوراثية المعينة التي تحددها الجينات كتغير لون الزهرة من أحمر إلى الأبيض»[2].

دون أن ننسى جهود كلورد برنارد ومساهمته في كتاب "مقدمة في الطب التجريبي" فمن خلال هذه المحاولات قدم علم تصور مادي للإنسان سواء تفسير كينونته أو مضمونه، ويفسر الفيلسوف النفساني جاك لاكان هذا التطور العلمي السريع للبيولوجيا إلى تأثير ميول أهواء الإنسان الذي تعرض للكبت والاضطهاد النفسي والتقويم من طرف الأخلاقيين، كما شهد هذا القرن تطور في مجال علم الوراثة ففي بداية القرن 21 شهدت ظهور شركات لها علاقة بالبيولوجيا والتكنولوجيا مثل شركة بيوجن التي شهدت ولادة أول طفل أنابيب في بريطانيا، وتم مباشرة ولادة 6 أطفال أنابيب من طرف نفس المخبر البيوتكنولوجي بين 1973 و 1981 لا شك أن الثورة البيولوجية مكنت الإنسان من التطور في الكثير من

[1] سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة المعرفة، مجلس الثقافة للفنون وآداب، الكويت، (د.ط)، 1984، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 28.

الأمور المتعلقة بالبنية العضوية وبتوظيف الكثير من التقنيات التي عملت العلوم الأخرى كالفيزياء والكيمياء على تطويرها، فأصبح بإمكان التقنيات البيولوجية القدرة على تحويل مادة عضوية الى مواد أخرى[1].

2.مراحل تطور الثورة البيولوجية:

أ- **مرحلة علم الحياة الجزيئية Biologie moleculaire:** «هو علم يحاول فهم آليات الحياة على مستوى الجزيئات والتفاعل بينها، وقد تولدت البيولوجيا الجزيئية من أبحاث علماء الوظيفة الفيسيولوجيين، الذين درسوا التراكيب الحيوية في الكائن العضوي كله إلى أصغر خلية فيه، ومن أبحاث الفيزيائيين والكيميائيين الذين انتقلوا من الجزيء الى التراكيب الصغيرة في الخلية، ومن أبحاث علماء الوراثة الذين اكتشفوا الجينات حيث أتاحوا لنا التفسير الجزيئي لأول مرة في تاريخ علم الحياة لآليات الحياة الأساسية ومعرفة القانون الكيميائي الضروري لانتقال وترجمة المعلومات الجينية»[2]، أي أنه في هذه المرحلة يحاول العلم فهم آليات الحياة الأساسية على مستوى الجزيئات ومعرفة قانون الكيميائي الموقع وانتقال وترجمة المعلومات.

ب- **مرحلة علم الخلويات الحياة الخلوية Biologie cellulaire:** «وهي لا تقتصر على دراسة العلاقة داخل الخلايا نفسها، بل تشمل أيضا وبصفة أساسية دراسة العلاقة بين الخلايا بعضها البعض، ذلك أن الخلايا تشكل مجتمعا داخل الأنسجة إذ يتصل بعضها ببعض عن طريق تبادل الإشارات التي تعرفها المستقبلات الموضوعة على سطوح الخلايا ولا شك أن فهم هذه الأحاديث أو المحاكاة التي تدور بين الخلايا خلال حياتها المجتمعية أمر ضروري لتفسير آلية الاختلاف بين الخلايا والآليات Mecanismes المنظمة لوظائف الجهاز العصبي والهرموني والمناعة وتؤدي البيولوجيا الخلوية لاكتشافات هامة أخرى وهي نقل الجزيئات واستقبالها»[3]. ونقصد هنا أن هذه المرحلة تهتم بدراسة الظواهر

[1] عمر بوفتاس: البيوتيقا الأخلاقية الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجية، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2011، ص 127.

[2] سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ص 25، 26.

[3] المرجع نفسه، ص 26.

الوراثية وكيفية ارتباط الصبغيات بسلوك الخلية، إن هذه الخلايا تتشكل داخل انسجة وتكون متصلة ببعضها البعض، وكذلك أيضا تؤدي الى نقل الجزيئات.

ج- مرحلة علم الغدد الصماء العصبية Neuro Endocrinologie: في هذه المرحلة لا يكون البحث داخل الخلايا وبينها بل يتعدى إلى اتصالات الأعضاء ببعضها البعض وتنظيم وتكامل النظام الكلي للإشارات المتبادلة بين الخلايا عن طريق الجزيئات التي تقوم بوظيفة المنظمات السبرانية نسبة لعلم سيبرنيتيك cyberintique وبوظيفة الهيبوتالاموس Hypotalamus والنخامة hypophyse التي تقوم بوظيفة قائد أوركسترا[1]، والمقصود هنا يكون اتصال الاعضاء ببعضها البعض وتكون في هيئة منظمة.

د- مرحلة الثورة الهندسة الوراثية:« أو ما يسمى بالتكنولوجيا D.N.A أي تكنولوجيا الحمض النووي المنقوص الأكسجين، حيث تعتبر هذه المرحلة أحدث مراحل الثورة البيولوجية، ولكنها أكثر جاذبية وإثارة بين العلماء وهذه التكنولوجيا الحيوية الجديدة تتيح لنا إعادة برمجة تفاعلات جزيئية وخلوية مكتشفة خلال المراحل السابقة من الثورة البيولوجية ويستطيع العلم من خلال الهندسة الوراثية أن يؤثر في الحياة تأثيرا مباشراً كما يؤثر في الوراثة وفي أنواع الكائنات»[2]، هذه المرحلة من أهم المراحل لهاته الثورة ذلك أن هذه المرحلة هي التي استطاع العلم فيها أن يتحكم في وراثة الكائن الحي.

المبحث الثالث: التقنيات المعاصرة لثورة البيولوجية

تمهيد: إن الدراسات الحديثة الحديثة شهدت اهتماما كبيرا بالمجال الطبي، ذلك نتيجة التطورات البيوتقنية مثل الخلايا الجذعية، الإخصاب الصناعي، استنساخ الأجنة، الجينوم البشري وغيرها من التقنيات المعاصرة، وقد حاولنا في هذا المبحث الإجابة عن هاته التقنيات البيوتكنولوجية المعاصرة.

أولا: الجينوم البشري.

1.مفهوم الجينوم البشري:

[1] سعيد محمد حفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، مرجع سابق، ص 26.

[2] المرجع نفسه، ص ص27،28.

يعرف بأنه: «هو مجموعة الطاقم الوراثي أو الرصيد الوراثي Genetic remeunder للإنسان وهو يضم في مجموعه كل الجينات أو الموروثات الموجودة في خلايا البشر، وهو الهوية الحقيقية للإنسان».[1]، إذا الجينوم البشري هو عبارة عن خارطة وراثية للإنسان تضم مجموعة المورثات المتواجدة في الإنسان، لتمنحه بنيته وهويته.

2.مشروع الجينوم البشري:

يعود الفضل في اكتشاف DNA إلى: «في أفريل 1953، تواصل جايمس واتسون وفرانسيس كريك إلى تركيبة D.N.A وبعد 50 عام في أفريل 2003، نجح العلماء العاملون على مشروع الجينوم البشري في قراءة تعاقب القواعد في D.N.A الخلايا البشرية، واكتشفوا تسلسل الأحرف A وC وG وT التي تؤلف الرسائل المرمزة للجينات. تتحكم هذه الرسائل المرمزة بدورها في تركيبة أجسامنا وكيفية عملها، وتستطيع تحديد ما إذا كنا نعاني من أمراض معينة»[2]، وعليه انصبت جهود مشروع الجينوم البشري على معرفة كل تفاصيل وأسرار الخريطة الوراثية وهذا ما تحقق فعلا سنة 2003 ليبدأ عهد جديد للبيولوجيا.

4.أهداف الجينوم البشري:

– تحديد وحصر جميع الجينات في الخلية البشرية من أجل اكتشاف كل تفصيلات الطاقم الوراثي المتعلق بتنامي الإنسان ووظائف الأعضاء organ functions والأنسجة والخلايا وخصائصها وسماتها السوية وغير السوية، ويعرف هذا الهدف إجمالا بضبط السيرة الذاتية للنوع البشري أو الهوية الجينية للإنسان.

– الوقاية من الأمراض المحتملة والمضمون حدوثها وذلك بالكشف عن أسبابها ومداخلها وأماراتها.

– معالجة العديد من الأمراض الواقعة والحاصلة، وذلك باعتماد ما يعرف بالعلاج الجيني Gène thérapie القائم على استخدام الجينات التي يتكون منها الطاقم الوراثي الإنساني أو الجينوم البشري.

[1] أحمد راضي أحمد أبو عرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، دار الفوائد لنشر، دار ابن رجب، القاهرة، ط1، 2010، ص 203.

[2] ريتشارد ووكر، الجينات و DNA الحمض النووي الريبي المنقوص، دار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 34.

– استخدام الجينوم البشري في الاثبات والنفي، مثال ذلك إثبات نسب الإبن إلى أبيه وهو ما يعرف بإثبات النسب عن طريق البصمة الوراثية DNA fingerprint وكإثبات الجرائم واكتشاف أصحابها من خلال مخلفاتهم التي تخضع إلى التحليل الجيني[1].

ومنه نستنتج ان الهدف من الجينوم الوقاية والمعالجة من الامراض وكذلك أيضا الهدف منه اثبات النسب.

ثانيا: الخلايا الجذعية.

1. **مفهوم الخلايا الجذعية**: مصطلح علمي يتكون من الكلمتين الخلية –الجذع.

أ– **الخلية في اللغة**: «من خلا المنزل من أهله (يخلو، خلوا، خلاء) فهو خال و(أخلى) بالألف فهو (مخل، واخليته) جعلته خاليا»[2]، الخلية في اللغة أيضا «اسم لفعل خلا وتطلق على عدة معاني»[3] والجذع «المراد به جذع النخلة وقيل ساق النخلة والجمع أجذاع وجذوع وقيل لا يبين لها جذع حتى يتبين ساقها»[4].

وبإضافة كلمة الخلية الى كلمة الجذع يتضح لنا أن الخلية الجذعية هي الخلية الأولية التي يتكون منها جسم الانسان، الحيوان والنبات.

ب– الخلية الجذعية: «هي خلايا قادرة على تطوير نفسها لأي نوع من الخلايا الموجودة في جسم الإنسان، وذلك خلال المرحلة المبكرة من العمر والنمو، كما تعمل هذه الخلايا كجهاز تصليح داخلي في لأنسجة الجسم»[5] معناه أن الخلية الجذعية هي الخلايا الأساسية التي تتواجد في جسم الإنسان والتي تتجدد باستمرار، ولها القدرة على الانقسام والتكاثر، فهي تجدد نفسها لكي تعطي أنواع أخرى مختلفة.

---

[1] أحمد راضي أحمد أبو عرب، الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص ص 205، 206.

[2] علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص 195.

[3] فاطمة الزهراء كرطي، العلاج باستخدام الخلايا الجذعية دراسة فقهية مقارنة، سامي للنشر والطباعة، الوادي، الجزائر، ط1، 2019، ص 21.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 97.

[5] ناصر محي الدين الملوحي، طب الخلايا الجذعية، (الطب الخلوي الجذعي)، دار الغسق للنشر، سوريا، ط2، 2020، ص 50.

2.أنواع الخلايا الجذعية:

أ- الخلايا الجذعية الجنينية: (Embryonic stem Cells)

«وهي خلايا مستمدة من أجنة الانسان ذات الأربعة أو الخمسة أيام، فعندما يقوم الحيوان المنوي بتلقيح البويضة يتشكل لدينا خلية أحادية تعرف باسم الزايجوت zygote تبدأ بالانقسام، وبعد أربعة أو خمسة أيام من هذه العملية وقبل أن تتزرع البويضة المخصبة في جدار الرحم تسمى هذه الخلايا بكيسة اريمية Blastocyste ومن هنا تظهر الخلايا الجذعية الجنينية...»[1]، بمعنى هاته الخلية لها القدرة على الانقسام غير المحدود في المزارع الخلوية لتعطي طلائع الخلايا المتخصصة فيما بعد.

ب- الخلايا الجذعية البالغة: (Adult stem cells)

«هي خلايا غير متمايزة موجودة في أنسجة متمايزة وتوجد في كل أنسجة الكائن الحي البالغ، وفي الاطفال ايضا، كما أنها لا تتمايز إلا إلى أنواع خلايا النسيج الذي خرجت منه، وتكمن اهميتها الحقيقية في أن برنامجها الوراثي يعطيها القدرة على تجديد نفسها في أي وقت وفي أي مكان، في الجسد ولفترات طويلة من عمر الكائن.»[2]، إن هذه الخلايا توجد من النخاع العظمي أي من نفس العظم مثل: عظمة الحوض أو الصدر، وهي معزولة منه ولها القدرة على إنتاج خلايا كبدية وجلدية وعصبية وأنواع أخرى من الخلايا.

ثالثا: استنساخ الاجنة البشرية (Human Embryo Cloning)

1. مفهوم الاستنساخ:

لغة: من المعروف أن الاستنساخ بالمعنى العلمي هو من النوازل؛ أي من الأمور المستحدثة التي ظهرت في وقتنا الحاضر، لذا لا نجد له في كتب المعاجم واللغة تعريف لغويا، وإن كان هناك بعض المعاني للاستنساخ تقترب من مفهومه العلمي إلا أنها موضوعة ومفسرة بأشياء فنجد: «النسخ ويطلق عليه الإزالة

[1] ناصر محي الدين الملوحي، طب الخلايا الجذعية، (الطب الخلوي الجذعي)، مرجع سابق، ص 51

[2] فاطمة الزهراء كرطي: العلاج باستخدام الخلايا الجذعية دراسة فقهية مقارنة، مرجع سابق، ص 52.

والناقل والإلغاء والتغيير وإبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، يقال: نسخت الكتاب إذا نقلته واستنسخته، وكتاب منسوخ أي منقول.»[1].

وكلمة استنساخ مرادفها في اللغة الانجليزية Cloning وهي مشتقة أصلا من اللغة الإغريقية Klow ومصطلح KLON في التطبيق البيولوجي يعطي معنى نسيلة، وهي الخلية المفردة الواحدة التي تنتج عن تكاثرها الأنسجة، وقد ورد في القاموس الالكتروني web site والمعجم البريطاني Oxford المعاني الآتية لمصطلح الاستنساخcloning :

1- نسخة طبق الأصل.

2- كائن ينتج من التكاثر اللاجنسي خضريا مثل النبات.

3- ماينتج من خلية جسدية من والديه ويتماثل وراثيا معهما[2].

اصطلاحا: اهتم العلماء بتعريف مصطلح الاستنساخ والاستنسال بتعريفات عدة وكلها تصب في معنى واحد وهي كالاتي:

- الاستنساخ: «هو استخراج نسخة طبق الأصل في الصورة والطول من كائن حي أصلا.»[3].
- الاستنساخ: «هو توليد كائن أو أكثر بنقل النواة من الخلية الجسدية إلى بويضة منزوعة النواة، وإما بتشطير بويضة مخصبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء.»[4]
- الاستنساخ: هو عملية توالد غير جنسي، تتم بأخذ خلية من خلايا جسم الإنسان، تحتوي على كافة المعلومات الوراثية الخاصة بالإنسان، وهذه الخلية تزرع في بويضة الانثى بعد تفريغها كامل مورثاتها ليأتي الجنين مطابقا للأصل، وبعد ذلك توضع البويضة في رحم الأنثى وتشكل الجنين على

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث، مرجع سابق، ص61

[2] يسرى رضوان: قضية استنساخ الانسان، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2000، ص ص 19، 20.

[3] عبد العزيز محمد الربيعي: حقيقة الاستنساخ وحكمه الشرعي، مجلة الشريعة والدراسة الإسلامية، العدد 49، 2002، ص 139.

[4] علي محمد يوسف المحمدي: الاستنساخ من الناحية الشرعية، المجلة العلمية بكلية الشريعة والقانون، العدد 150، 1999، ص 182.

نحو مطابق للكائن الأصلي الذي أخدت منه الخلية.[1] من خلال التعريفات السابقة للاستنساخ يتضح أن المعنى العلمي للاستنساخ هو أخذ خلية جسدية من كائن حي تحتوي على كافة المعلومات الوراثية وزرعها في بويضة مفرغة من مورثاتها أو تشطير بويضة مخصبة في مرحلة مبكرة من النمو ليأتي الجنين مطابقا تماما في كل شيء للأصل، هذا المعنى يلتقي مع المعنى اللغوي وهو إيجاد نسخة أخرى طبق الأصل النسخة الموجودة.

2.أنواع الاستنساخ:

أ.الاستنساخ التناسلي(استنساخ الأجنة البشرية):

يعرف هذا «النوع الأول من الاستنساخ، وهو الاستنساخ التناسلي وهو عبارة عن إعطاء ميلاد الشخص بتقنية نقل النواة. الأمر يتعلق بتوليد كائنات متطابقة وراثيا فيما بينها، وذلك بنقل نواة من خلية جسمية ووضعها في بويضة مفرغة، أي انتزعنا نواتها.»[2]، وهذا الاستنساخ هو نوع من التوالد اللاجنسي حيث انه يعتبر انتاج لإنسان دون الاتصال الجنسي الطبيعي وسمي استنساخ لأنه ينتج جنينا مطابقا لمناح النواة.

«يمثل الاستنساخ الإنجابي وسيلة تناسلية جديدة يمكن من خلالها إيجاد توأم متطابق Identical twin من مانح donor الخلية الأصلي. ويتم ذلك بأخذ بويضة امرأة وإزالة المادة النووية منها واستبدالها بنواة المانح الذي يتطلع إلى الكائن الذي سوف يستنسخه. وفي نهاية الأمر تنقل هذه المضغة المستنسخة إلى رحم الأم، فيحدث الحمل Pregnancy بإذن الله تعالى وإيجاد الكائن المستنسخ.»[3]

الاستنساخ التناسلي هو اسنساخ تكاثري توالدي، إذا فـ:«الاستنساخ التناسلي للكائن البشري سيكون إذن إنتاج جنين بنقل نواة بدءا من خلية جسدية أو جينية ونموه حتى يبلغ نهاية النمو وميلاد الطفل، إذا كانت الخلية المستنسخة خلية جسدية مأخوذة من بالغ أو طفل تكون النتيجة طفلاً ذا جينوم كروموسومي مطابقا لجينوم البالغ أو الطفل الأصلي، أما إذا كانت الخلية المستنسخة لجنين ستكون

[1] الشيخ جعفر حسن غريسي: الاستنساخ جدل العصر، دار الهادي، بيروت، ط1، 2002، ص 26.
[2] هنري أتلان وآخرون: الاستنساخ البشري، تر: مها قابيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016، ص18.
[3] أحمد راضي أحمد أبو عرب، الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص 171.

النتيجة شبه توأمية، مع ترحيل بسيط في الوقت وهي فضلاً عن ذلك غير محددة بنسختين، وفي كل الأحوال إذا ما طبقت هذه النتيجة سيتم إنتاج طفل أو أطفال بالتناسل اللاجنسي كنسخ متطابقة كروموسوميا فيما بينها ومتطابقة للكائن الحى الأصلي.»[1].

يعتبر الإنسان المستنسخ عبارة عن نسخة وراثية للأصل، وعليه فـ:«الكائن المستنسخ هو توأم مطابق وراثيا لمانح النواة. ويوجد تشابه في التركيب الوراثي فقط فيما بين الكائن المستنسخ والأصلي. إلا أن هنالك عوامل أخرى مثل البيئة وتجارب الشخص تساعد في تشكيل شخصية المرء وتحديد السمات الفردية.»[2].

ب. <u>الاستنساخ العلاجي</u>:

يعرف بأنه: «هو الحصول على خلايا مستنسخة لإنتاج الأنسجة والأعضاء لتحسين الرعاية الصحية بدرجة أساسية، ففي حالة الاستساخ البشري Human cloning فإن استخدامات الاستنساخ العلاجي تتضمن إنتاج البروتينات العلاجية البشرية، الأنسجة، الأعضاء البديلة Substitute organs والعلاجات القائمة على الخلايا، وذلك لعلاج الأمراض التي تنطوي على تلف الخلايا وباستخلاص خلايا متخصصة من الأجنة المستنسخة»[3].

وللاستنساخ العلاجي أهمية كبيرة جدا فهو مفيد للبشر في العديد من الأمراض والمشاكل الصحية والمتمثلة في: «اختلال الدماغ مثل مرضي باركنسون والزهايمر، داء السكر، اختلال المناعة الذاتية مثل تصلب الأوعية والتهاب المفاصل، السرطان، يمكن أن يوفر الاستنساخ العلاجي أعضاء منسجمة وراثيا (١٠٠%) مع المريض مثل الكبد والكلى، وبالتالي إنقاذ حياة أولئك الذين ربما يلقون حتفهم في غياب مثل هذا الأسلوب.»[4].

رابعا: التلقيح الاصطناعي (Artificial Insemination)

[1] هنري أتلان وآخرون: الاستنساخ البشري، مرجع سابق، ص 22.

[2] أحمد راضي أحمد أبو عرب، الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص 172.

[3] المرجع نفسه، ص ص 170، 171.

[4] المرجع نفسه، ص 171.

1. تعريف التلقيح الاصطناعي:

أ. لغة:

مصطلح التلقيح الاصطناعي يتكون من مفهومين هما التلقيح والاصطناعي ولهذا حتى نستطيع تعريف هذا المصطلح وجب اولا تعريف كل من المفهومين على حد.

- **التلقيح**: من المصدر لقح و«اللقاح هو ماء الفحل ويقال لقحت اذن حملت واللقح ايضا: الحبل.»[1].
- **الاصطناعي**: «صنعه يصنعه صنعا، فهو مصنوع وصنع: عمله.»[2].

من التعرفين السابقين نستنتج أن التعريف اللغوي لتلقيح الاصطناعي هو اصطناع الحمل أي أنه يعني عمل أو صنع حمل بطريقة جديدة اصطنعها الإنسان مخالفة لطريقة التقليدية.

ب. اصطلاحا:

يمكن تعريف بأنه: «المقصود هو أن العملية التي يتم من خلالها الحمل ليست نفس الطريقة التي تعودت عليها البشرية منذ بداية الخليقة، بمعنى أنها تتم بواسطة أداة للتلقيح الصناعي، بدون أن يكون هناك أي اتصال جنسي بين الذكر والأنثى.»[3] يعني أن التلقيح الاصطناعي هو نوع من التوالد أو التناسل اللاجنسي أي القيام بعملية انتاج إنسان دون أن يقترب الرجل من المرأة؛ أي إحداث عملية إنجاب للأطفال بطريقة اصطناعية من اختراع الانسان مخالفة تمام لطريقة الطبيعية في التوالد، ويعرف أيضا على أنه: « إجراء عملية تلقيح بين حيوان الرجل المنوي، وبويضة المرأة عن طريق غير معهود»[4]، فالتلقيح الاصطناعي هو التدخل البشري في عملية التوالد والانجاب عن طريق اصطناع عملية تلاقح بين بويضة الأنثى ومني الرجل يعني إحداث تزاوج لا جنسي. « فهو كل طريقة أو صورة يتم فيها التلقيح

[1] ابن منظور، لسان العرب، المجلد 2، مرجع سابق، ص ص 579، 582.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المجلد 8، مرجع سابق، ص 208.

[3] ناهد البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص 76.

[4] زياد أحمد سلامة: أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، الدار العربية للعلوم، عمان، ط1، 1996، ص 53.

والانجاب بغير اتصال جنسي الطبيعي.»[1]، مهما تعددت التعريفات فهي في نهاية تصب عند معنى واحد هو اصطناع الانجاب.

2. تاريخ التلقيح الاصطناعي:

إن مشاكل الانجاب كانت ومازالت موجودة، ولكنها في الآونة الأخيرة انتشرت بشكل كارثي ومخيف والحاجة الغريزية للتكاثر الموجودة داخل كل إنسان طبيعي دفعته للبحث عن سبل لعلاج مشاكل الانجاب من أجل الحصول على أطفال وتلبية الحاجة الإنسانية، لذلك ومن السبل التي وجدها الطب هو التلقيح الاصطناعي، « ولا يبدو أن البشرية قد عرفت التلقيح الاصطناعي من الناحية العملية إلا في القرن العشرين عندما تمكن العلماء الروس من استخدام التلقيح الصناعي للأغنام والأبقار والخيول والخنازير وذلك في العقد الأول من القرن العشرين»[2]، هذا في ما يخص الظهور الفعلي والعلمي للتلقيح الاصطناعي، فهو ظهر فعليا في بدايات القرن العشرين، إلا أن هناك في الماضي ممارسات تعتبر ضمن التلقيح الاصطناعي، حيث أن البعض يرد التاريخ الى أكثر من 500سنة، إذ يذكر لنا كل من ألون جونز وولتر بومر في كتابهما (مستقبلنا الوراثي هل هو صدفة أم تخطيط) «أن عملية الاخصاب الصناعي في الحيوانات قد عرفها العرب في القرن الرابع عشر ميلادي إذ كانت بعض القبائل العربية تلقح خيولها من نطف جنسية تحصل عليها من حصان أصيل له من الصفات المميزة غير المتوفرة لدى ذكور أخرى»[3]، ولم تتوقف الأبحاث فيما يخص التلقيح الاصطناعي الذي بدأ مع الحيوانات، حيث توالت التجارب والمحاولات وعادت بفوائد كبيرة، فالتلقيح الاصطناعي عند الحيوانات يساعد على تحسين النسل كما في مثال العرب مع الخيول الأصيلة، وكذلك مع كل الحيوانات وبعد المحاولات والنجاحات التي حققها العلم في عمليات التلقيح الاصطناعي للحيوانات انتقلوا الى الإنسان وبعد محاولات عديدة نجحو، فـ «كان أول من قام بمحاولة التلقيح الاصطناعي الخارجي في الإنسان (طفل الأنبوب) هو الدكتور روبرت إدواردز (R. Edwards) عام ١٩٦٥، الذي حاول واستمر في محاولاته إلى أن نجحت أول محاولة

[1] أحمد راضي أحمد ابو عرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص 321.

[2] محمد علي البار: طفل الأنبوب والتلقيح الاصطناعي والرحم الظئر والأجنة المجمدة مع ملاحق فقهية، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، ط2، 1990، ص 29.

[3] زياد احمد سلامة: أطفال الانابيب بين العلم والشريعة، مرجع سابق، ص 55.

للحمل عام ١٩٧٦، ولكن للأسف تم الحمل في قناة الرحم مما استدعى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين واستئصال قناة الرحم. وفي عام ١٩٧٨ تمت ولادة أول طفل أنبوب في العالم لويزا براون (عندما نجح إدواردز وستبتو في محاولاتهما المستميتة، وكان قد سبق تلك المحاولة مائة محاولة فاشلة.»[1].

3. أنواع التلقيح الاصطناعي:

أ. التلقيح الاصطناعي الداخلي:

تعريفه: هو تلقيح اصطناعي «يتم في هذه الحالة إدخال مني الزوج الى داخل رحم المرأة بوسائل طبية معينة»[2]، وهو أيضا «الحصول على المني من الرجل وحقنه في رحم الانثى ليصل الى البيضة في قناة فالوب ويتم الاخصاب وتكمل هذه البيضة المخصبة بعد ذلك التكوين الجنيني الطبيعي»[3]، من خلال هذين التعريفين يمكننا القول أن التلقيح الاصطناعي الداخلي هو عملية يقوم فيها الطبيب بأخذ مني الرجل وحقنه في رحم الأنثى في فترة الإباضة عن طريق أنبوب، حيث تذهب الحيوانات المنوية مباشرة الى البويضة وتقوم بتلقيحها، وعليه إذا نجح التلقيح يصبح جنين ويسمى داخليا، لأن عملية تلقيح الأنثى تتم بداخل الرحم أي داخل الأنثى الملقحة.

طريقة التي يتم من خلالها التلقيح الاصطناعي الداخلي:

يجب أولا أن تتوفر شروط معينة قبل البدأ في هذه العملية وهي:

«. أن يكون عند الزوجة رحم صحيح أو على الأقل مبيض واحد يمكن الوصول إليه بالتنظير.

. أن يكون لدى الزوج عدد كاف من الحيوانات المنوية الصالحة للإخصاب.

. أن يكون للمبيض أو المبايض القدرة على انتاج بيضة، إما تلقائيا أو بواسطة الأدوية المنشطة.».[4]

[1] محمد علي البار: اخلاقيات التلقيح الاصطناعي، مرجع سابق، ص ص58، 59.
[2] زياد أحمد سلامة: أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، مرجع سابق، ص 53.
[3] أحمد راضي أحمد أبو عرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص 321.
[4] زياد أحمد سلامة: أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، مرجع سابق، ص ص 60، 61.

إن توفر هذه الشروط أمر ضروري لنجاح عملية التلقيح الاصطناعي الداخلي، فأولا يجب أن يكون للمرأة رحم سليم ومبيض سليم يمكنه إنتاج بويضات، وذلك ليستطيع الأطباء الوصول إلى الرحم وحقن الحيوانات المنوية عن طريق الأنبوب، وإضافة إلى سلامة الحيوانات المنوية لدى الرجل وتوفرها بعدد كاف مناسب للتلقيح بحيث يشترط أن يكون الحيوان المنوي سليم حتى يكون قادر على الوصول إلى البويضة واختراقها، وبعد توفر هذه الشروط تتم عملية التلقيح الاصطناعي الداخلي عن طريق:

«. تجرى هذه العملية في وقت التبويض Ovulation.

. تعطى السيدة الأدوية المنشطة للمبيض للتأكد من تكون البويضات ونضجها.

. يفضل أن يحصل الطبيب المعالج على 1-3 بويضات ناضجة على الأقل.

. تؤخذ عينة من السائل المنوي وترسل إلى المعمل لتحضيرها ثم تحقن في رحم المرأة.»[1].

- **أسباب القيام بالتلقيح الاصطناعي الداخلي:**

إن القيام بعملية من عمليات التلقيح الصناعي الداخلي يكون غالبا بسبب مشاكل صحية تناسلية أو جنسية يعاني منها الزوجين، أو أحد الأزواج وهذه الأسباب تتلخص في:

. «كون الحيوانات المنوية للزوج غير نشطة نشاطا فعالا (...) كون الحيوانات المنوية للزوج غير كافية للتقيح الطبيعي»[2].

. «إذا كانت حموضة المهبل تقتل الحيوانات المنوية بصورة غير اعتيادية.

. إذا كانت افرازات عنق الرحم تعيق ولوج الحيوانات المنوية.

. إذا أصيب الزوج بالعنة (عدم القدرة على الإيلاج) أو الإنزال السريع مع وجود قدرته على إفراز حيوانات منوية سليمة[3]».

[1] أحمد راضي أحمد أبو عرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص 322.

[2] المرجع نفسه،ص323.

[3] محمد علي البار: أخلاقيات التلقيح الاصطناعي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1987، ص 45.

كما أشرنا فالأسباب تكون متعلقة عموما بالصحة الجنسية أو التناسلية فقد يعاني الزوج مثلا من مشاكل على مستوى حيواناته المنوية فتكون قليلة جدا مقارنة بالأعداد الطبيعية الضرورية لحدوث التلقيح الطبيعي، أو تكون ضعيفة النشاط والحركة ولا تستطيع الوصول بشكل طبيعي إلى البويضة من أجل تلقيحها وقد يعاني الزوج من مشاكل جنسية مثل ضعف الانتصاب، وبالتالي عدم قدرته على التزاوج بشكل طبيعي وقد تعاني المرأة من مشكل مثل أن تكون حموضة مهبلها عالية فتسبب بذلك القضاء على الحيوانات المنوية فهي حساسة جدا أو قد تكون إفرازاتها المهبلية كبيرة بصورة تمنع وتعيق حركة الحيوانات المنوية داخل المرأة.

ب. <u>التلقيح الصناعي الخارجي</u> (In-Virto fertilization)

<u>تعريفه</u>: «يقصد بكلمة (In-virto) بالمعنى الحرفي في زجاجة أو في زجاجة الاختبار المخبرية. والمقصود بالتعبير ككل (In-virto Fertiziation) عملية الاخصاب التي تتم بين البويضة والجرثومة المنوية خارج الرحم -في إناء- وتترك البويضة المخصبة لتنمو لفترة معينة ثم يتم زرعها في رحم الأنثى لإتمام مراحل النمو»[1]، هذا النوع من التلقيح يسمى خارجيا لأن عملية التلاقح والتزاوج بين الحيوان المنوي والبويضة يتم خارج رحم المرأة، حيث أنه هنا يتم أخذ بويضة من المرأة توضع في شروط مخبرية مناسبة تضمن لها البقاء سليمة، ثم تحقن بحيوان منوي وتترك في الخارج مدة لتنمو ويتم مراقبة نموها ثم تزرع مجددا في رحم المرأة وهناك يكمل الجنين نموه، وتعرف هذه الطريقة في التلقيح أيضا بأنها: «في هذه الطريقة تؤخذ البويضات من الأنثى وتلقح خارجيا في طبق ثم تعاد الى رحم الأنثى»[2]، و « سميت هذه الحالة بطفل الأنبوب لأن التلقيح يتم في أنبوب اختبار»[3].

<u>الطريقة التي يتم من خلالها التلقيح الاصطناعي الخارجي</u>:

في هذه الطريقة «تعتمد الفكرة على أخذ البويضة (الأصح البيضة من المرأة عند خروجها من المبيض وذلك بواسطة مسيار خاص يدخله الطبيب في تجويف البطن عند موعد خروج البويضة من

[1] ناهد البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص 80.

[2] محمد على البار: أخلقيات التلقيح الاصطناعي، مرجع سابق، ص 57.

[3] زياد أحمد سلامة: أطفال الانابيب بين العلم والشريعة، مرجع سابق، ص 86.

المبيض فيلتقطها ثم يضعها في طبق بيتري (Petri dish) وليس أنبوبا كما هو شائع... وفي هذا الطبق سائل فسيولوجي مناسب لبقاء البويضة ونموها»[1]، للقيام بعملية التلقيح الخارجي يجب أخذ بويضة من رحم الأنثى بطريقة طبية ثم يوضع في طبق ويحافظ عليها مخبريا حتى يضمن لها الاستمرار والنمو ولأخذ البويضات يتم «حث المبيض بواسطة الهرمونات لإنتاج أكبر عدد ممكن من البويضات. رصد البويضات بواسطة جهاز الموجات فوق الصوتية المهبلي لتحديد حجم وعدد البويضات الصالحة. ينظف المهبل بمادة معقمة ليتم سحب البويضات وذلك بعد ٣٢-٣٦ ساعة من أخذ هرمون H.C.G. يتم إدخال جهاز Ultrasound إلى المهبل لسحب البويضات تدريجيا من المبيض بواسطة الطبيب المعالج، ويجب أن تكون المثانة فارغة أثناء إجراء هذه العملية»[2]، تتعلق هذه العلمية أولا بالمرأة حيث يبدأ تجهيزها إلى العملية، وعندما يصبح كل شيء جاهزا وتصبح البويضة جاهزة « تؤخذ عينة من السائل المنوي في نفس يوم جمع البويضات ويحضر هذا السائل وذلك بفصل الحيوانات المنوية الجيدة ووضعها في سائل خاص يساعدها على الحركة وربما تضاف بعض الأدوية التي تزيد من نشاطها »[3]، بعدها ينتقل الطبيب المختص في العملية الى الرجل ليتم تحضيره هو الاخر بأخذ حيواناته المنوية وتجهيزها مخبريا للعملية بعدها، "يؤخذ مني الرجل ويوضع في الطبق مع البويضة فاذا ما تم تلقيح البويضة بأحد الحيوانات المنوية Spermatozoa، وذلك يمكن مشاهدته تحت الميكروسكوب"[4] بعد ان اصبح كل من البويضات والسائل المنوي جاهزين مخبريا يتم جمعهما فيقوما بالتلاقح، ثم «يتم نقل الأجنة Embryo transfer عادة بعد يومين إلى خمسة أيام من إجراء عملية الإخصاب، ويكون عددها ثلاثة عادة وذلك عن طريق إدخال أنبوب Catheter خلال عنق الرحم، ثم توضع الأجنة في تجويف الرحم وتعطى السيدة الأدوية التي

[1] محمد علي البار: طفل الأنبوب والتلقيح الاصطناعي والرحم الظئر والأجنة المجمدة مع ملاحق فقهية، مرجع سابق، ص 33.

[2] أحمد راضي أبو عرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص ص314 ،315.

[3] المرجع نفسه، ص 316.

[4] محمد علي البار: طفل الأنبوب والتلقيح الاصطناعي والرحم الظئر والأجنة المجمدة مع ملاحق فقهية، مرجع سابق، ص 33.

تساعد على تثبيت الأجنة»[1]، وبهذه الطريقة تتم عملية التلقيح الخارجي بعد التجهيز وحدوث الالقاح تزرع البويضة الملقحة بعد حدوث الانقسامات في رحم المرأة وتصبح جنين في حالة نجاح واستمرار الحمل.

هناك عملية أخرى يطلق عليها اسم الأم البديلة، «أما عملية الرحم البديل أو الأم البديلة Surrogate mother، فإنها تذهب أبعد من ذلك إذ تربط الولادة بالوكالة بالتخصيب الأنبوبي، وتجرى بأخذ البويضة من المرأة المحرومة من الرحم Deprived from uterus وتخصب من قبل زوجها ثم توضع في رحم إمرأة أخرى توافق على حمل الطفل دون أن تعطيه أي من جيناتها ثم تعيد الطفل إلى والديه الأصليين بعد ولادته»[2]، وفي حالات أخرى أين تكون الأم غير قادرة على حمل الجنين يتم الاستعانة بأنثى أخرى لحمل الجنين، وهناك حالات متعددة مثلا أن تكون الأم تمتلك مبيضين سليمين وتكون قادرة على إنتاج البويضات ولكنها مصابة في الرحم ولا تستطيع حمل الجنين فتتم عملية التلقيح بين بويضتها وحيوانات الرجل المنوية وتزرع في رحم إمرأة أخرى، وعندما يولد الطفل يأخذه أبواه البيولوجيان، وهناك حالات أين تكون المرأة عاقر تماما، حتى أنها لا تستطيع إنتاج بويضات، فتأخذ بويضات من إمرأة أخرى وتتم عملية التلقيح.

أسباب القيام بالتلقيح الاصطناعي الخارجي:

- «مرض البطانة الرحمية (Endometriosis)، عدم انتظام عملية التبويض عند المرأة، ووجود خلل في السائل المنوي (Spermatic fluid)، وجود مشاكل في عنق الرحم Cervix منها المادة المخاطية التي تعيق مرور الحيوان المنوي إذا كانت كثيفة بصورة غير طبيعية. وكذلك وجود الأجسام المضادة للسائل المنوي (Antisperm antibodies)، العقم (Sterility) الذي لا يوجد له سبب واضح»[3].

[1] أحمد راضي أبو عرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص 315.

[2] أحمد راضي أبو عرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، مرجع سابق، ص 315.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: موقف هابرماس من التطور البيولوجي المعاصر.

المبحث الأول: يورغن هابرماس سيرته الذاتية ومساره الفكري.

أولا: سيرته الذاتية.

ثانيا: سيرته الفكرية.

ثالثا: منطلقاته الفكرية والفلسفية وأهم مؤلفاته.

المبحث الثاني: موقف هابرماس من تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة.

أولا: موقف هابرماس من التحسين الجيني.

ثانيا: موقف هابرماس من إشكالية الاستنساخ.

المبحث الثالث: موقف هابرماس من تقنية الاخصاب الصناعي وعمليات الزرع بالأنبوب.

اولا: تقنية الاخصاب الصناعي وأطفال الأنابيب.

ثانيا: موقف هابرماس من تقنية الاخصاب الاصطناعي وأطفال الانابيب.

المبحث الأول: يورغن هابرماس سيرته الذاتية ومساره الفكري.

يعد الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس من بين أبرز الفلاسفة تأثيرا في العصر المعاصر امتزجت كتاباته بين النظرية السياسية والقانونية والأخلاقية، كما يعتبر من أهم المنظرين الاجتماعيين بعد الحرب العالمية الثانية، لعبت أفكاره دورا مهما في عصره فشكلت نقطة تحول فكرية وذاع صيته في أوربا وبالتحديد في ألمانيا ليكون أبرز ممثلي الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية.

أولا: سيرته الذاتية

«ولد الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس عام 1929 في دوسلدروف وهو من فلاسفة الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت، يعد هابرماس جزءا أساسيا مما يسمى بنادي الخمسة الكبار والذي يضم مجموعة من أهم الفلاسفة المعاصرين، والمتضمن كل من بول ريكور وإيمانويل ليفيناس وجاك دريدا وكارل أتوابل، علاوة على يورغن هابرماس، وهو بذلك من أكبر فلاسفة الغرب اليوم، وأهم الفلاسفة الألمان المعاصرين»[1].

بالنسبة لأسرته فقد ترعرع في أسرة ألمانية من الطبقة المتوسطة تأقلمت مع النظام النازي دون انتقاده، ودون تأييده تأييدا فاعلا، تبلورت أفكاره السياسية الخاصة للمرة الأولى عام 1945 عندما كان في 16 من عمره مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية انضم إلى حركة شباب هتلر، وبعد الحرب شاهد الأفلام التسجيلية التي صورت محرقة اليهود وتتبع وقائع محاكمات نورنبرغ، فتفطن لحقيقة معسكر، اعتقال أوشفيتس، ومدى الكارثة الأخلاقية للأفعال النازية. درس هابرماس الفلسفة في شبابه في جوتنجن وزيوريخ ولون، ولم يكن متطرف في الفترة ما بين عامي 1949 و 1953، انغمس في أعمال دراسة مارتن هيدغر ولكن سرعان منعه ما نفض عنه أفكاره في عام 1954 حصل هابرماس على درجة الدكتوراه بالأطروحة على الفيلسوف الألماني المثالي فرديريش شلينغ، بعد ذلك التفت إلى أعمال هاربرت ماركيوز وكارل ماركس، وبعدها بعامين أصبح أول مساعد لأبحاث الفيلسوف تيودور أدورنو لمعهد البحث

[1] نور الدين علوش: المدرسة الألمانية النقدية (من الجيل الاول الى الجيل الثالث)، دار الفارابي، لبنان، بيروت، (د. ط)، 2013، ص 59.

الاجتماعي لفرانكفورت، تأثر هابرماس بخيرة أساتذته بمدرسة فرانكفورت تيودور أدورنو وماركس هوركهايمر، وكلاهما من أصول يهودية ألمانية[1].

بالرجوع إلى تاريخ السيرة الذاتية للفيلسوف الألماني يورغن هابرماس نجده منذ ولادته لم يتلقى أي تعليم أو تدريس من الذين أسسوا معهد مدرسة فرانكفورت الذي اشتهر من خلالها، كما أخذ تكوينه في جامعة جو تنجن وزيوريخ وبون، بالإضافة إلى عمله كمساعد لأدورنو أحد مؤسسي مدرسة فرانكفورت وهنا نشهد تأثره بالمدرسة النقدية، في السيرة الذاتية لهابرماس تبين مدى تشكل الشخصية النموذجية التي تمثلت كما أخذ من خلالها عبقرية الفيلسوف وخاصة دخوله إلى مؤسسة الجامعية الأكاديمية وحصوله على درجة الدكتورة في الفلسفة[2].

ثانيا: سيرته الفكرية ومساره الفكري.

يعتبر الفيلسوف الألماني هابرماس من رواد الفلسفة وعلم الاجتماع على مستوى العالم، كما أنه يمثل الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية، تنوعت كتاباته بين السوسيولوجيا والإتيقا، إضافة إلى مئات الأبحاث والمقالات المنشورة في المجالات والجرائد الدولية، وقد قادته فلسفته المهمومة بالإنسان للانتقال إلى مواقع النزاعات بنفسه، إلى إيران والشرق العربي وألبانيا وبلدان إفريقية وآسيا، وبسبب دفاعه عن العقل والحداثة والتنوير فإنه يكاد يكون أهم فيلسوف اليوم بالمعنى الدقيق لكلمة فيلسوف، وقد اقتفى هابرماس المسار التقليدي الألماني لتكوين شخصية الفيلسوف، فمن سمات هذا المسار الدخول إلى المؤسسة الأكاديمية الجامعية ومتابعة الدراسات الفلسفية فيها بكل مراحلها المتدرجة حتى الحصول على درجة الدكتوراه، فقد مر كل فلاسفة ألمانيا الكبار بهذه المراحل مثل كانط وهيجل، وكان ارتباطه الأكاديمي قد توازى مع الإبداع الفكري مستمرا عن طريق إصداره العديد من البحوث الفلسفية الهامة خارج إطار المؤسسة الجامعية[3].

---

[1] نور الدين علوش، المدرسة الألمانية النقدية، مرجع سابق، ص 60.

[2] جيمس جوردن فيتسون: مقدمة قصيرة يورغن هابرماس، تر: أحمد محمد الروبي، مؤسسة هنداوي التعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2015، ص 10.

[3] نور الدين علوش، المدرسة الألمانية النقدية، مرجع سابق، ص ص 59، 60.

ثالثا: منطلقاته الفكرية والفلسفية واهم مؤلفاته.

1. منطلقاته الفكرية:

لفهم هابرماس وجب العودة إلى مرجعياته الفكرية والفلسفية التي تحدد منطلقاته في مشروعه الفلسفي فتجد:

أ. كارل ماركس:

يعتبر ماركس من المرجعيات الفلسفية المهمة في فكر هابرماس « حيث يعتبر ماركس في نظره أكبر داعية للتقنية ولكن – تجدر الإشارة إلى أنه إذا كان ماركس قد ناصر التقنية للتحرير الإنسان من الأمراض الفتاكة والأولية وجبروت الطبيعة ... ولكي يبين هابرماس حدود مفهوم التقنية من منظور ماركس، فإنه يقسم المنظومة الاجتماعية إلى مقولتين العمل والتفاعل ومن خلال هذا يعيب على ماركس اهتمامه بالعمل والإنتاج كالنشاط الأدائي متناسيا أهمية التواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع وهذا ما سمي في علم الاجتماع بالجمعية Scrcialrlité »[1] يتبين من خلال هذا أن هابرماس يعيد بناء المادية على أساس التفاعل والتواصل أي الجانب الاجتماعي لا بما ينتجه الناس بالجانب الاقتصادي.

ب. هيجل:

«اعتمد هابرماس على هيجل ومنهجه الجدلي في ظاهريات الفعل ومحاضراته في جامعة «ايينا»، حيث يلاحظ هيجل بأن سيرورة تكوين العقل البشري تحث بطريقة حوارية وتقدم جدلية الحوار الهيجلي في ظاهريات العقل الثلاثية تتوزع مابين العقل الذاتي، العقل الموضوعي، العقل المطلق، إلا أن هابرماس لا يهتم بهذا التقسيم الموسوعي، إذ يهجره لصالح التقسيم الأول الذي ورد في فلسفة «ايينا»

[1] حسن مصدق: يورغن هابرماس، ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2005، ص109.

والتي تحيل إلى نظرية العوامل الثلاثة (الذاتي، الموضوعي، الاجتماعي) كأساس الاشكالية الإجرائية لعملية الجمعنة التي يتم تصورها كتعبير نشاط الذات للموضوع الخارجي»[1].

نفهم من هذا أن هابرماس أقلب الجدلية الخيالية من تقسيم ذاتي موضوعى مطلق إلى ذاتي موضوعي اجتماعي؛ أي أخرج فلسفة الذات من الذاتية إلى الإجتماعية، فتجد أكسل هونيث فيلسوف الاعتراف يرى أن مفكري النظرية النقدية بالفكرة الهيجلية حول "الجمعاوية" يجب أن تكون ذات طابع عقلاني، وهذا بالضبط جوهر فكرة هيجل التي تؤكد على ضرورة إدراك التحقيق الذاتي الفردي من خلال ارتباطه بشرط وضع البراكسيس المشترك الذي لا يمكن أن يكون سوى نتيجة التحقيق العقلي، وهذا يخالف ما ذهبت إليه (الجمعاوية) عند هابرماس إلى الفكرة القائلة نفسها بأن التوجه نحو البراكسيس النازري التحرري الذي يجب أن يكون نتيجة علاقات الانتماء أو الانسجام نتيجة اختبار عقلي[2].

ج. كانط:

استفاد هابرماس كثيرا من كانط سواء على المستوى الأخلاقي أو السياسي، وظف هابرماس مفهوم الكلية الأخلاقية لتأسيس أخلاقيات المناقشة بديلا عن أخلاقيات الواجب وأخلاقيات المنفعة، بعد ذلك لم يمنعه من انتقاد كانط بتأسيسه للأخلاق على الذات لوحدها، ليطرح التذاوت بديلاً لفلسفة الوعي القائمة على الذات.

أما على المستوى السياسي فوظف هابرماس مفهوم الفضاء العمومي كانط في كتاباته " التحول النبوي للفضاء العمومي" ولطرح نظرية الديمقراطية التشاورية، بإضافة الى تأثره الواضح بمشروع كانط حول السلام الدائم، ومن خلال هذا نفهم أن هابرماس أخذ من كانط فكرة الواجب الأخلاقي، أما في المجال السياسي فدعى إلى توظيف الأخلاق الكانطية داخل الفضاء العمومي التي تقوم على الديمقراطيه التشاركيه، التي تمكن المواطنين من وضع القرارات السياسية عن طريق التفاعل المباشر مع السلطات، بالإضافة الى إعجابه بفكره السلام الدائم حيث دعا هابرماس الى المواطنة كوسمولوتيه[3].

---

[1] حسن مصدق: يورغن هابرماس، ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص134.

[2] اكسل هونيث: فيلسوف الاعتراف، تر: كمال بومنير، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص89.

[3] نور الدين علوش: المدرسة الألمانية النقدية، مرجع سابق، ص 81.

بعد أن كان حق أخلاقي ذاتي، تحول مع هابرماس إلى حق يعبر عن انتماء الأفراد إلى الجماعة.

في الأخير نستنتج أن هابرماس في مساره الفكري كان له عدة منطلقات فلسفيه وفكريه تمثلت خاصه في فلاسفة الحداثه، وهذا ما نجده في عباراته كالحداثة مشروع لم يكتمل بعد، وبهذا لا يعلن القطيعة معها على عكس ما ذهب إليه فلاسفة الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، فهابرماس دعا إلى تقويم الحداثه وإعادة بنائها وفق عقلانية تواصليه ومعايير أخلاقية تقوم على التواصل والاعتراف بالآخر، وعليه يكون هابرماس قد استفاد من الحداثه وفلاسفتها الذين ذكرناهم، بالإضافة إلى هوسرل الذي وظف فكرته حول العالم المعاش في نظريته، كما نجده يأخذ من فلسفة اللغة مع أوستن وسيرل وفيتجنشتاين، وبهذا يكون هابرماس تجاوز العقلانية الأداتية وأبدع الفعل التواصلي بعد نقده، وأخذه من كل مفردات الحداثه، هذا ما نلمسه في مختلف مؤلفاته التي تجمع بين نقد الإدارية والتقنية وابراز موقفه الذي سنتعرف عليه في المبحث الثاني.

2. مؤلفاته:

التحولات البنيوية للأوضاع الاجتماعية 1962.

النظرية والممارسة 1963.

منطق العلوم الاجتماعية 1967.

نحو مجتمع عقلاني 1967.

برجماتية التفاعل الاجتماعي 1976.

نظريه الفعل الصريحة 1981.

الوعي الأخلاقي والفعل التواصلي 1983.

لمحات فلسفيه سياسية 1983.

الخطاب الفلسفي للحداثة 1985.

المحافظية الجديدة 1985.

تذكير ما بعد الميتافيزيقا 1988.

التبرير والتطبيق 1991.

بين الحقائق والمعايير مساهمات لنظريه الجدل القانون والديمقراطي 1992.

برجماتية التواصل 1992.

تصميم الآخرين 1996.

جمهوريه برلين 1997 مجموعة مقابلات مع هابرماس.

العقلانية والدين 1998.

الحقيقة والتبرير 1992.

مستقبل الطبيعة البشرية 2003.

أوروبا القديمة أوروبا الجديدة قلب أوروبا 2005.

الغرب المنقسم 2006.

جدل العلمانية 2007.

المبحث الثاني: موقف هابرماس من تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة.

إن سيطرة العقلانية الأداتية والتقنية على الإنسان في ظل التطور البيولوجي جعلته في سعي دائم نحو تحقيق متطلبات كانت حلم منذ القدم، كإنجاب أطفال يمتازون بصفات حميدة ويخلون من كل العيوب والأمراض الوراثية، فتجاوز طموحه من العلاج إلى طموح تعزيز قدراته وانتقاء أفضل الصفات المرغوبة والتخلص من اللامرغوبة، وهذا كله بفضل تكنولوجيا الهندسة الوراثية، فأضحت تقنياتها (التحسين الجيني والاستنساخ) إشكالية تناولها مختلف الفلاسفة والعلماء ومن بينهم نجد الفيلسوف

الألماني يورغن هابرماس، التي تناولها ولو بالقدر البسيط لكن سنحاول أن نتطرق إليها، من خلال مختلف كتاباته، ومن هنا نطرح التساؤل ما موقف هابرماس من إشكالية التحسين الجيني والاستنساخ؟

أولا: موقف هابرماس من التحسين الجيني.

إن تقنية التحسين الجيني تمكنت من إخضاع الجسد الحي والحياة الإنسانية للتجريب والتعديل في الخصائص الطبيعية، وهذا ما اعتبره يورغن هابرماس تلاعبا بالطبيعة البشرية، والماهية الإنسانية مما أثار موجة غضب هذا الأخير.

يعبر هابرماس في كتابه مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية حول فهم الجنس البشري لأخلاقيته، ففي عام 1973 تمكن الباحثون من فصل وإعادة دمج مكونات الجينوم، فأخذت التقنيات الوراثية تتطور بقوة وخاصة في المجال البيولوجي، فتطور استخدام تشخيص ما قبل الولادة والتلقيح الاصطناعي للبويضة ولحوين السائل المنوي مما أتاح فرصة الحمل خارج الرحم أي بإمكان حدوث تكوين جنين خارج جسم المرأة، فضل هابرماس يفكر بظاهرة الأمهات الحوامل ووهب السائل المنوي ووهب البويضة ما يتيح إمكانية الحمل حتى بعد توقف العادة الشهرية، باستعمال الأجنة المجمدة[1].

هذا يعبر عن النظرة العلمية والسرعة الرهيبة وتطور الوسائل التقنية التي أصبحت تتدخل وتمس الجوانب الدقيقة لجسم الإنسان، حيث تدخلت في أدق جزء للكائن الحي وأصبحت حياته مهددة، بفعل التدخل التقني في خصوصياته.

وبهذا سهل العلم في البداية تلك النظرة الإيجابية التي كانت بمثابة حلم، وحين تحقق ذلك، جمح الطموح الإنساني إلى استعمال هذه التقنيات ضمن أغراض ربحية بعيدة كل البعد عن القيم الانسانية.

يضيف هابرماس حول التدخلات الجينية وإشكالاتها الأخلاقية أنه يسمح تشخيص ما قبل الزرع لإجراء اختبار وراثي تقديري لصالح الأهل يتمكنون من خلاله معرفة خلل الأعضاء، أو يتيح لهم فرصة إصلاح ما في الجينوم، وإن كان هذا التدخل يبدو إيجابيا وعلاجيا، فإنه في الوقت نفسه لا يقتصر عليها، ولذلك يرى هابرماس أن النقاشات يجب أن تبنى وفق كلية التطور التقني لأن تطور التقنية البيولوجية

[1] يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، تر،جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص26.

والنجاحات التي حققها العلاج الجيني والتدخل الوراثي اتسعت لتشمل غايات احترازية شخصية وهنا يفرض هابرماس ضرورة وضع حدود خصوصا مع وجود "نسالة ليبرالية " لا تعترف بالحدود بين ما هو علاجي و ما هو أداتي غائي[1].

أدى هذا التجاوز إلى ظهور ما يسمى الجشع العلمي الذي تنبلج عنه نوايا البحث في تغيير فيزيولوجية الانسان، فمع هذه التطورات العلمية أصبح للجين القدرة على تحديد الصفات الوراثية، فإن التلاعب بالجينات هو جد خطير، فالكائنات الحية تتحرك، تنتقل تتكاثر تنتشر وتتداخل، كما أنها تتلاقح وتختلط بكائنات حية أخرى وأنواع أخرى، فالتلاعب بالجينات والطبيعة البشرية والماهية الإنسانية حسب يورغن هابر ماس هو التلاعب بهوية النوع الإنساني والجنس البشري حيث «نادى الوضع المتأزم للواقع العلمي اليوم بضرورة العودة الأخلاقية لتساير هذا التحول لأن ما يضعه العلم تقنيا بتصرفنا يجب أن يكون خاضعا للرقابة الأخلاقية لتجعلنا وبالمقابل لأسباب معيارية غير قادرين التصرف بها على هوانا»[2]، إن الوضع الذي آلت إليه الحياة الإنسانية في ظل التطور البيولوجي المعاصر فرضت علينا وبالضرورة النظر إلى هذه التقنيات كالتحسين الجيني والتشخيص ما قبل الولادة وتغيير الصفات ... أي الحاجة أضحت ضرورية الى وجود دليل أخلاقي وتفكير إتيقي «لأن التحديات التي تواجه المجتمعات ما بعد الحداثة لا حصر لها فبات واضحا أن الخطر الذي يداهم الإنسانية بفعل التطور العلمي قد يؤدي إلى القضاء على العنصر البشري»[3].

إن تسارع التطور العلمي، والتجاوز الأخلاقي الناجم عنه قضى على أغلب النزعات الإنسانية، بل إضمحلال للإنسانية بحد ذاتها، فأزمة الإنسان في العصر الحالي في ظل وجوده في خضم التقنيات والتطورات العلمية جعلته يعيش حالة من الاغتراب وفقدان معرفة الذات والوجود، فزال تدريجيا مفهوم الإنسانية بعد مشروع الجينوم الذي أصبح فيه الإنسان محل التجربة والدراسة وانتفت عنه قدسيته، وبالتالي أصبحت النزعة الإنسانية «عجز تماما عن مسايرة العلم والتكيف معه، باعتباره قوة فكرية متعاظمة تطرح

[1] يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص ص27، 28.

[2] المصدر نفسه، ص ص33، 34.

[3] يورغن هابرماس، جوزيف راتسنغر، جدلية العلمنة " العقل والدين"، تر: حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص23 24.

اليوم بإلحاح ضرورة إعادة النظر في مكونات الخطاب الفلسفي عن الإنسان وذلك لمصلحة الإنسان نفسه»[1]، فبقت الفلسفة هي الوحيدة القادرة على ردع هذه الغطرسة العلمية.

ثانيا: موقف هابرماس من إشكالية الاستنساخ.

هدفت البيولوجيا المعاصرة لمعرفة الإنسان بقضل اكشاف الخلية ومكوناتها والحمض النووي وعلم الأجنة، لكن هاته الاكتشافات المعاصرة أثارت جدلا أخلاقيا حول مصير الإنسان في ظل هذا الانفجار العلمي والتقني، خاصة بعد ظهور تقنية الاستنساخ، فالاستنساخ هو الآخر أحد التقنيات التي باتت تهدد حياة الإنسان والطبيعة البشرية، لما يحمله من مخاطر مستقبلية، فكان شهر جويلية عام 1996 موعد الإعلان عن ولادة النعجة دوللي بتقنية الاستنساخ من خلية جسمية بمعهد روزلين بإسكتلندا، وكانت بذلك أول كائن حي مستنسخ، فتعتبر هذه اللحظة من أهم المنعطفات في تاريخ البيولوجيا حينها تساءل الكل عن مستقبل الطبيعة البشرية في حالة ما طبقت هذه التقنية على الإنسان، الذي له قيمته وقيمه وقدسية مقارنة بغيره من الموجودات، هذا ما دفع بهابرماس التساؤل عن الطبيعة البشرية والتحذير من التلاعب بها.

انطلق هابرماس من العلاقة الجدلية بين أخلاق الفرد وأخلاق النوع، بعد أن أصبح للتطور التكنو– بيولوجي تأثيرات سلبية في الأخلاق الفلسفية « إذ يخشى هابرماس أن يؤدي الخلط بين الطبيعي فينا والمعالج الى تشويش فكرتنا الأخلاقية عن أنفسنا، إذ لا يمكن للإنسان بأن يتحمل أن تكون حياته ومستقبله محددين جينيا، مع العلم بحريته، حيث لا يمكن للفرد أن يظل مؤمن بحريته إذ كان مستقبله ومآل أفعاله معلومين له من قبل فثمة ضرب من الحقل الأساسي لكل فرد في أن يكون مستقبله غير محدد»[2]، ولكن هابرماس لم يتناول هاته القضية من وجهة نظر الخبير، بل الفيلسوف فيقول هابرماس أن ما أثار اهتمامه هو قبل كل شيء إجابة عن السؤال التالي: «كيف يمكن لنا أن نغير من رؤيتنا لأنفسنا

[1] عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر هيدغر– ليفي ستروس– ميشيل فوكو، دار طليعة، بيروت، ص22.

[2] حسام الدين فياض، هابرماس وثورة الجينوم فن التلاعب بالأجنة– رؤية أخلاقية مقالة في النقد الاجتماعي، العدد1، 2017، ص06.

كبشر يعيشون ويتحملون مسؤولية افعالهم، عندما يأتي اليوم الذي نقوم فيه بالتحكم في طبيعتنا الجينية أو كيفية عمل عقلنا؟»[1].

يذهب هابرماس إلى أن التلاعب الجيني بالطبيعة البشرية وتعديل تركيبتها الطبيعية، وتحويل خصائصها الأساسية والجوهرية قد أدى إلى تقننة الطبيعة الإنسانية وغير فهمها، حيث يوضح قائلا: «تستدعي هذه الرؤيا مسألة معرفة ما إذا كانت تقننة الطبيعة الإنسانية قد أدت الى فهم آخر لذاتنا بما يتأتى عن سلوكيات النوع، فبعد الآن لم يعد بالإمكان أن نفهم أنفسنا ككائنات حرة سلوكيا ومتساوون أخلاقيا نتوجه بواسطة المعايير والحجج»[2].

إن طموح الإنسان في السيطرة على الطبيعة وإخضاعها، قد تم له ذلك، انطلاقا من تحكمه فيها، لكن لم يبق طموحه عند هذا الحد بل راح يسيطر على الإنسان، حيث يلح هابرماس على أن التقنيات البيوتكنولوجية وخاصة الاستنساخية منها وفي مقدمتها استنساخ الأجنة قد جعل من الطبيعة الإنسانية مجردة شيء ومادة قابلة للتجريب وسلعة قابلة للتغيير والتعديل والتحول، حيث تم التحكم في هذه الطبيعة بنجاح عندما قمنا بإدخال التقنية عليها وتغيير خصائصها الجوهرية، سينتج عن هذا التلاعب التقني الخطير في الطبيعة البشرية الكثير من المشاكل والأزمات التي ستصيب الإنسان المعدل نسليا بواسطة هذه التقنيات، حيث سيكون في مرتبة أدنى من الأفراد الذين ولدوا مولدا طبيعيا مع شعور دائم بالنقص لأنه تم التلاعب وتعديل جيناته مما يؤثر على فهمه لذاته وماهيته ويحد من حريته، وأن هذا التدخل الجيني سيجعلنا غير متساويين أخلاقيا، لأننا أصبحنا تحت سيطرة هاته التقنيات إنها عبودية بشكل آخر، فالإنسان مبرمج وراثيا سيعش دائما مع الوعي بأن تركيبته الوراثية قد تم التلاعب بها وتغييرها على حد تعبير يورغن هابرماس في قوله:« على الانسان المبرمج نساليا أن يعيش مع الوعي بأن سماته الوراثية قد تم التلاعب بها بهدف ممارسة تأثير معين على طبعه الوراثي»[3].

[1] حسام الدين فياض، هابرماس وثورة الجينوم فن التلاعب بالأجنة–رؤية أخلاقية مقالة في النقد الاجتماعي، مرجع سابق، ص07.

[2] يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص53.

[3] المصدر نفسه، ص68.

من المؤسف أن هذه التقنيات والثورة العلمية حطمت الآمال الإنسانية التي كانت تطمح إلى خلق الإنسان السوبرمان خالي من العيوب على حد تعبير نيتشه، اصطدمت بمختلف المشاكل والأزمات التي بلورت أزمة الانسان المعاصر، كثرت فيها الأسئلة والاستفهامات حول مصير الإنسان والقيم الإنسانية في ظل الثورة البيولوجية والتكنولوجية وماتحمله من نتائج قيمية وأخلاقية، لهذا انقلب العلم من آمال علاجية الى مآلات خطيرة مست قدسية الجنس البشري[1].

هذا ما يعبر عنه هابرماس في قوله: «القوة المحركة للتكنولوجيا، تعمل على تحويل الأشياء إلى أدوات، وتحول الإنسان إلى أداة»[2].

وبهذا ارتبطت التكنولوجيا بالسيطرة على الإنسان والحياة العضوية، محاولة جعل الذات أداة، كما خلقت عدة مشاكل هددت حياة الفرد واستقرار الأسرة ووحدتها، فنسخ الإنسان سيغير من مفهوم الفرد جذريا فينتج فرد ناقصا وربما يموت في أيام، كما أن هذه التكنولوجيا ستؤدي إلى القمع والاستغلال وسيخلق بشر بدون أحاسيس، فالمادة لا تشعر ولا تحس، وبالتالي إلغاء معنى الإنسانية والجوانب الروحية.

من بين أخطر نتائج التقنيات الاستنساخية نجد استنساخ الأجنة أو ما يعرف بالاستنساخ التكاثري فهو التلاعب بالخصائص الوراثية للإنسان، وهذا التلاعب سيؤدي إلى التأثير سلبا على شعور الإنسان بعد معرفته أنه تم تغيير حقيقة صفته الوراثية، وسيعيش طيلة حياته يشعر بالنقص مقارنة بالذوات الأخرى المولودة طبيعيا، كما يتسبب هذا في التأثير على نفسيته فيتولد له الكثير من العقد النفسية بسبب النظرة الدونية للآخرين كالتنمر عليه أو تذكيره دائما أنه مولود عن طريق الاستنساخ.

وبحسب اعتقاد هابرماس فإن هذه التدخلات على الإنسان وما تحمله من انتهاكات خطيرة قد تمت بواسطة شخص ثالث ولا دخل لإرادة الشخص المحسن أو المستنسخ، كما أن هذا الشخص سيكون على دراية بالتدخل الذي مر به قبل الولادة، وفي تلك اللحظة سيفهم أنه تم تعديل سماته الخاصة وأنه

[1] طالبي أمين: الثورة البيوتكنولوجية وأزمة الانسان المعاصر نحو زوال منظومة القيم، التدوين،01، الجزائر،2022، ص134.

[2] يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر علي مولا، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003، ص05.

ليس بطبيعي كغيره من الذوات، وهنا يرفض رفضا تاما فكرة تعديله وأنه أصبح محل تجارب وتلاعب، وكل ما يسمى أنه تدخل نسالي يخدم الانسان يقدم اليوم في شكلين من جهة باسم تلبية لرغبات يبررونها الوالدين بحجة تفادي إصابة أطفالهم بأمراض وراثية، ومن جهة أخرى بحجة تزويدهم بخصائص وراثية جديدة ليكونوا الأفضل مستقبلا والأكثر حظا.

في الجهة الأولى يقدم هابرماس نقده على اعتبار أنها تعطي الحق لأشخاص غير معنيين بتحديد قيم إنسانية لشخص آخر لم يولد بعد، أما الجهة الثانية فنقده لها لما قاموا به من إضافة أو تلاعب بالطبيعة الإنسانية بواسطة شخص غير معني خلافا للعلاج العيادي[1]، بالإضافة إلى هذا فمن نتائج الاستنساخ وخاصة التناسلي سيؤدي إلى وجود توائم بعيدة عن بعضها زمانيا حيث سيكون الأفراد أخوات استنسخوا منهم لكنهم في مرتبة الأبناء أو الأحفاد لاختلاف الوقت، كما ينتج عن الاستنساخ معاناة الأفراد المستنسخين من الشيخوخة المبكرة والحرمان من هوية خاصة وعائلة ينتمون لها وغياب للعلاقة العائلية ومفهومي الأبوة والأمومة، ولا يصبح هناك معنى للأبويي،ن وستكون هناك طريقة غير طبيعية للإنجاب فينتج عن هذا فقرا بيولوجيا، فتؤدي هذه الاختلالات إلى فوضى بيولوجية[2].

المبحث الثالث: موقف هابرماس من تقنية الاخصاب الصناعي وعمليات الزرع بالأنبوب.

لازال حلم خلق الانسان السوبرمان والتلاعب بالعضوية الإنسانية مستمر في ظل التطورات الطبية، تعد تقنية الاخصاب الاصطناعي وأطفال الانابيب هي الأخرى من بين تقنيات الهندسة الوراثية التي حققت نجاحا باهرا في علاج وحل مشاكل مختلف حالات العقم للأزواج، لكن ما أثار تساؤلات هابرماس حول هذه التقنيات، أنها أصبحت متروكة لأهواء الأفراد وجشع الأطباء، متناسين الضوابط الأخلاقية والقانونية هي الأخرى، لهذا سنحاول في هذا المبحث الوقوف على موقف هابرماس من هذه التقنيات.

[1] يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص175.

[2] داود خليفة، التقنيات الحيوية وسؤال الأخلاق، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد02، الجزائر، 2021، ص269.

أولا: تقنية الاخصاب الصناعي وأطفال الانابيب

تعتبر عملية الاخصاب الصناعي أو ما يسمى بالتلقيح الاصطناعي طريقة غير طبيعية لإنجاب الأطفال، وحل بديل لعقم الأزواج.

أما التلقيح الاصطناعي بالمفهوم الاصطلاحي: فهو عملية تلقيح بويضة الزوجة بمني زوجها عن طريق الأنابيب بسبب معاناتها من العقم وانسداد قناة "فالوب"، وهي القناة المسؤولة عن إيصال مبيضها برحمها، بعدها يقوم الأطباء بنقل البويضة الملقحة خارج الرحم إلى رحم المرأة[1].

كما يقصد بالتلقيح الاصطناعي الانجاب دون حدوث تلاقي بين المرأة وزوجها، إذن فهو عبارة عن عملية تقنية تحقق رغبة الإنجاب عن طريق نقل الحيوانات المنوية من الزوج أو من غيره إلى العضو تناسلي للزوجة[2].

أما أطفال الأنابيب هي تقنية تتم خارج الرحم ويقصد بها عملية الاخصاب التي تكون بين البويضة والجرثومة المنوية داخل أنبوب ويتم ترك البويضة لفترة زمنية محددة بعدها تتم زراعتها في رحم المرأة لتكملة عملية الحمل، كما شهد العالم بعد هذه التجارب والاجتهادات الطبية الطويلة ولادة أول طفلة أنابيب في العالم سنة 1978 على يد الدكتور باترك تسمى(روبرت براون)[3].

أضحت هذه التقنية الحل الأمثل للأزواج الذين يتعذر عليهم الانجاب، سواء تمت بمني الزوج أو بمني شخص آخر، وفي هذه الحالة يعتبر الطفل المولود في نظر الفقهاء نتج عن علاقة غير شرعية نتج عنها العديد من التجاوزات والانتهاكات كالاتجار بالمنايا[4].

---

[1] العربي بلحاج، بحوث قانونية في قانون الأسرة الجزائري الجديد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط، 1، 2015، ص247.

[2] لامية العرفي، التلقيح الاصطناعي في قانون الأسرة، مذكرة تخرج لنيل إجازة المدرسة العليا للقضاء، المدرسة العليا للقضاء، الجزائر، 2008، ص08.

[3] ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دار النهضة العربية، الكويت، ط1، 1978، ص81.

[4] مجموعة باحثين، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإيتيقي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص98.

وفي هذا قامت ألمانيا ما بعد الحرب بسن قوانين وسياسات لأخلقة علم الأجنة، حول القتل الرحيم والأمومة البديلة، والاخصاب الاصطناعي داخل المختبر والتجريب على البشر والتلاعب بالولادة.

ففي عام 1990 تم إعلان قانون حماية الأجنة من قبل البرلمان الألماني، الذي ينص على المنع بتاتا بالتعامل مع الأجنة البشرية التي لا تخدم الجنين، وعند إعلان بريطانيا عام 2000 أنظمتها ليبرالية بشأن البحث الجيني نتج عنه رفض شديد من طرف زعماء الألمان معتبرين بأنه ليس أبعد شان من أكل لحوم البشر[1].

ثانيا: موقف هابرماس من تقنية الاخصاب الاصطناعي وأطفال الانابيب.

يؤكد هابرماس على مدى خطورة تجاوزات الأبحاث البيولوجية التي أضحت تبعث الخوف في نفوس البشر بسبب خطورتها التي تنعكس سلبا على الطبيعة البشرية، حيث أصبحت تهددها وتنذر بمستقبل سلبي للإنسانية حيث يوضح قائلا: «ثم إن نظرة على التاريخ الطبي لا بد أن تحملنا على التشاؤم في موضوع تهذيب الطبيعة الإنسانية، فمنذ بدايات التلقيح وأول عمليات الدماغ والقلب المفتوح الى العلاج الجيني، مرورا بنقل الأعضاء أو زرع الأعضاء الاصطناعية لم ينقطع الجدل حول الحدود المبررة التي يمكن أن تبلغها هذه العمليات وأهدافها الطبية...فالعلم والتقنية قد زادا من مساحة الحرية على حساب الانحلال الاجتماعي أو فك السحر عن الطبيعة الخارجية، ويبدو أنه لابد من وضع حد لهذه النزعة الجامحة من خلال إقامة تابوات مصطنعة، وتاليا من خلال "إعادة السحر" إلى الطبيعة الداخلية»[2]، يظهر من قول هابرماس التحذير من الممارسات البيوطبية العشوائية التي أصبحت تهدد الوجود الإنساني ولا تراعي الضوابط والشروط، إذ يجب وضع حد لها لأنها أصابت البشرية بالذعر والقلق على مستقبلهم ومستقبل هويتهم وذهاب أصلهم، وعليه يجب رد الاعتبار للطبيعة البشرية وقدسية الحياة الإنسانية من خلال إيقاف الأبحاث البيولوجية التي ليس لها حد ووقف هاته الانتهاكات التي كانت مبدأها التقنية والعلم ونهايتها زوال الطبيعة الإنسانية.

---

[1] Erik brawn, the dilemmas of German bioetics, the new Atlantis A journal of Technology and soc, 2004, p39.

[2] هابرماس يورغن: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص34-35

إن التطور العلمي الذي كانت نتاجه الثورة البيوطبية أصبح يهدد طبيعتنا، خاصة جوهرنا الأخلاقي وقيمنا، كون الانسان كائن أخلاقي يسعى دائما إلى الحفاظ على هويته وماهيته، لذا جب تأطير هاته الممارسات التي تمس الإنسان وقيمه، وهذا ما يؤكده يورغن هابرماس في قوله: «إن القول بأن التدخل الاستنسالي عبر التحول الوراثي سيؤدي إلى التحول في البنية الكلية لتجربتنا الأخلاقية هو قولا يحمل على التأكيد القوي...إن انزياح الحدود بين (الصدفة والخيار الحر) سيؤثر على الأشخاص في كليتهم وفي فهمهم لأنفسهم وهم القلقون على وجودهم والعاملون أخلاقيا. إن ذلك سيجعلنا نعي أشكال التلاحم الموجود بين الفهم الأخلاقي لأنفسنا وخلفية تعود للممارسة الأخلاقية للجنس البشري. إذا اعتبرنا أنفسنا كالأخرين مسؤولين عن تاريخ حياتنا الشخصية وإذا استطعنا بالمقابل التصرف كأشخاص (متساويين منذ الولادة) فذلك يعود إلى أننا نفهم أنفسنا من وجهة نظرا انثربولوجية، أي باعتبارنا كائنات نوعية»[1].

يحاول هابرماس الالحاح على خطورة الأبحاث البيوطبية كالاستنساخ والتدخل الجيني والاخصاب الاصطناعي من كونها تمس المنظومة الأخلاقية للإنسان وتذهب ثوابته، فالكثير من الضوابط الأخلاقية قد تغيرت بتطور البيولوجيا والأبحاث البيوطبية كحرمة الجسد البشري وحقوق الانسان وقيمه، حيث تم انتهاكها اليوم في مختبرات البيولوجيا، لذا فقدنا الترابط بين فهمنا لأنفسنا وبين ما نبتغيه من الجنس البشري من أخلاقيات وقيم، هذا يدفعنا إلى طرح تساؤل مفاده كيفية فهمنا لذواتنا أنثروبولوجيا بصفتنا نحمل النوع نفسه ومدام هذا النوع مقدسا فيجب التحلي بالمسؤولية كاملة فيما يتعلق بحياتنا وطبيعتنا البشرية وأن نتصرف على أساس المساواة بين الجميع وخاصة فيمما يتعلق بمخاطر الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة التي أصبحت تهدد الوجود الإنساني.

أصبحت التقنيات الحديثة في عصرنا الحالي لها القدرة في التحكم ببنية الإنسان الجسدية وقيمه، وهذا أسمى تعبير عن مدى الهيمنة والسيطرة التي توصلت إليها الأبحاث البايولوجية على الطبيعة

[1] يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص 39.

الإنسانية التي أدت إلى إلغاء حريته وتكبيل اختياراته من طرف الخبراء ورجال السياسة من منطلق أساسه التحسين والعقلنة في إطار علمي وفكري سياسي.[1]

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015، ص ص 174، 175.

الفصل الثالث: الفكر البيوإتيقي في مواجهة مفرزات الثورة البيولوجية

المبحث الأول: العقلانية التواصلية ومستقبل الطبيعة الإنسانية.

المبحث الثاني: الفكر البيوتقني بين المعارضة والتأييد.

أولا: المعارضين للفكر البيوتقني.

ثانيا: المؤيدون للفكر البيوتقني.

المبحث الثالث: مستقبل القيم الإنسانية.

تمهيد:

إن الوضع الذي آلت إليه البشرية في ظل التقدم العلمي والتقني، الذي شهدته البيولوجيا في فروع الطب والوراثة والاستنساخ والهندسة الوراثية وغيرهم، نتج عنه انتهاكات غير أخلاقية مست بصورة مباشرة الحياة الإنسانية في مستقبلها وكرامتها، فأضحت الفلسفة هي الوحيدة القادرة على الوقوف في وجه هذه التجاوزات البيولوجية، من خلال تدخلها لإيجاد الحلول الأخلاقية التي تراها مناسبة للبشرية، فتجمع بين العلم والفلسفة والقانون داخل إطار أخلاقي، وبهذا سعى الفلاسفة والمفكرين عامة والبيواتيقين خاصة الى إعادة طرح السؤال الأخلاقي العملي بهدف إعادة الإنسانية للإنسان والحفاظ على قدسيته وقيمته.

المبحث الأول: العقلانية التواصلية ومستقبل الطبيعة الإنسانية.

إن ناقوس الخطر الذي تدقه الثورة البيولوجية والتقنية المعاصرة التي شهدها العالم جعلت من الإنسان يواجه تحديات أخلاقية وقانونية واجتماعية راهنة وجب الوقوف عليها وعدم تجاوزها وخاصة في مجال الطب والبيولوجيا، لأنها تمس قداسة الإنسان وكرامته وقدسية الحياة، ومن هنا وجب تأطير التدخلات البيوطبية في الكائن الحي وهذا ما سنتناوله في مقاربة يورغن هابرماس ورهانه على العقلانية التواصلية ومدى فاعليتها في كبح التطور العلمي والتقني.

ينتقد ويرفض هابرماس بشدة التقنيات الوراثية في كتابه "مستقبل الطبيعة الإنسانية" ويعبر عن قلقه من التطور التقني السريع، وهذا راجع إلى كونها أصبحت تعرض حياة الانسان إلى العبث والتجارب الخطيرة، فتهدد حياة واستقرار المادة الوراثية، وبهذا يطرح تساؤلات معيارية أخلاقية متعلقة بالوجود الطبيعي اللغوي والاجتماعي وقداسة الحياة الإنسانية والكرامة الإنسانية، وعليه يطرح هابرماس السؤال حول إمكانية تأسيس عقلاني للحفاظ وحماية الإرث الجيني لا تلاعب فيه، وهذا يكون بواسطة وضع قواعد وأسس وقوانين بيولوجية لحماية الهوية الشخصية في ظل مجتمع ليبرالي يمتلك مواطنوه الحرية والحق في فعل ما يريدون تحت مبررات طبية[1].

[1] يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص 37.

فبالنسبة إلى الذين يلتمسون هذه الحرية في استعمال التقنيات، يكون مبررهم من منطق علاجي لهذا زادت المسائل تعقدا وتشابكا من قبل التدخل الوراثي، تحسين النسل، التلقيح الاصطناعي، والمتاجرة بالأعضاء البشرية والاستنساخ، وخلط ما هو طبيعي بالاصطناعي... الخ، فاصبح البيوطبيين لا يعرفون حدود التوقف، وفي هذا يعبر هابرماس عن خوفه بقوله: «إن البحث الوراثي البيولوجي قد وجد نفسه ضمن ميثاق يتحد فيه ربح المستثمر وضغط الحكومات الوطنية التي تعلن نجاحها، ما تطورات التقنيات البيولوجية فيظهر دينامية تهدد بضياع سيرورة التوضيح المعيارية داخل الاطار العام ذي النفس الطويل»[1].

يضيف هابرماس في هذا الصدد: «إن تقدم التقنية البيولوجية ونجاحات العلاج الجيني ومساعدته، إلى جانب السماح بالتدخل الوراثي على الخلايا الجسدية، كل هذه الأمور قد اتسعت لتشمل غايات احترازية تتعلق بهذه الأمراض أو الأمراض الشبيهة ...كل ذلك يجعلنا امام تحد شديد التناقض»[2].

هذا ما شغل تفكير هابرماس ودفعه لاتخاذ موقف نقدي من هذه التقنيات، لأنها أصبحت تمثل الهدف الغائي والربح المادي للمشتغلين عليها، فتجعلنا في نظره أمام تحد شديد التناقض لا تراعى فيه الحدود.

إن موقف هابرماس النقدي هذا يندرج ضمن عدائه للفلسفة العلموية والوضعية، التي يصبح فيها العقل أداة للسيطرة، إذ يعتبره هابرماس وسيلة لقمع الأفراد والمجتمعات التي تسير وفق غايات ربحية، تحقيقا لهدفها المتمثل في التحكم التقني في الإنسان وحياته، حيث يقول: «تقدّم التّقنيّة أيضا العقلنة الكبيرة للاحرّيّة الإنسان وتبرهن الاستحالة التّقنيّة في أن يكون الإنسان مستقلا بشكل حياته ذاتيّا، ذلك لأنّ هذه اللّاحرية لا تتبدى على أنّها لا عقلانيّة، حتّى ولا سياسيّا، وإنّما على أنّها خضوع للآلة التّقنيّة الّتي توسع أسباب الرّاحة أمام الحياة، كما ترفع إنتاجيّة العمل، تحمي العقلانيّة التّكنولوجيّة بهذه الطّريقة قبل كلّ شيء قانونيّة السّيطرة في الوقت الّذي تلقيها فيه، والأفق الأداتيّ يحوّل ذاته إلى مجتمع شموليّ بطريقة عقلانيّة»[3]، فهذا التقدم البيوتقني يحد من حرية واستقلالية الإنسان، بل إن التقنيات البيوتقنية قد بسطت

[1] يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص27.

[2] المصدر نفسه، ص28.

[3] المصدر نفسه، ص47.

سيطرتها عليه مما يجعله خاضعا وخانعا لها، وهذا كله بسبب مفرزات العقلانية الأداتية التي أقرتها الحداثة الغربية في مبادئها وأسسها، إذا نحن مطالبون بتحرير الإنسان من هاته القيود البيوتقنية.

تعتبر التقنية من أهم منتجات العقل الأداتيّ الّتي أفرزتها الحداثة، بغية السّيطرة وكبح الحريّات، وهي في حقيقتها وغايتها لاعقلانيّة بتاتا، والأدهى من ذلك أنّها تعتبر نفسها أكثر عقلانيّة ببثّها السّيطرة. ينتقد "هابرماس" العقلانيّة الأداتية الّتي سعت إلى بثّ سيطرتها على الإنسان الّذي أخذت منه حرّيّته وسلبته إنسانيته، لأنّها حولت الإنسان إلى مجرد علاقات إنتاجيّة وجعلت من المجتمع مجتمعا شموليّا؛ بهذا تنتزع حرّيّته ليصبح تابعا فقط لا مبدعا ولا مشاركا، هذا ما يرفضه "هابرماس" ويسعى إلى عقلنته وفق عقلانيّة إجرائية تواصليّة.

يشدّد "هابرماس" على الفاعليّة التّواصليّة، ردّا على تناقضات الحداثة، هذه النّظريّة في الأخير هي تتويج لاتّفاق جماعيّ ونبذ الفردانيّة والوصول إلى النّظريّة الاجتماعية للحقيقة، عمل "هابرماس" على تأسيس نظريّة تتماشى مع تصوره النّقديّ وهي نظريّة العقلنة، ونظريّة النّشاط التّواصليّ، وجدل العقلنة الاجتماعيّة، ونظريّة المجتمع حيث عمد إلى ربط النّظريّة بالممارسة الفعليّة الّتي يحتضنها أفراد المجتمع؛ من هنا إبراز الظّواهر المرضيّة الّتي لحقت الحداثة ومحاولة علاجها، من خلال إنشاء الفاعليّة التّواصليّة (Communicative effectiveness)، ودحض وانتقاد العقلانيّة الأداتيّة[1].

يوضّح "آلان هاو Alan Howe" ذلك بقوله: «والفعل التّواصليّ عند هابرماس يقف في تعارض مع الفعل الأداتيّ، بوصفه شيئا يأخذ وجهة التوصّل إلى اتّفاق متبادل وليس إلى التّدخل الأداتي في العالم الاجتماعيّ أو الماديّ. هكذا يوفّر الأساس المنطقيّ الّذي للفعل التّواصليّ وسائل تحديّ هيمنة الشّكل الأداتيّ الّذي قوّض آمال هوركهايمر وأدورنو وماركوزه ذلك التّقويض البالغ»[2].

كان همّ "هابرماس" من خلال الفعل التّواصليّ هو إعادة بعث الفلسفة من جديد، بعدما أهدمتها الوضعيّة المنطقية، حيث عمل على رفض الأداتية التقنيّة والإيديولوجية ومحاولة بعث الفلسفة من خلال توظيفها في المجتمع عبر العقل أو الفعل التّواصليّ الّذي يحقّق الإجماع، كانت مهمّة الفعل التّواصلي هو

[1] محمد نور الدّين أفاية: في النّقد الفلسفيّ المعاصر مصادره الغربيّة وتجلّياته العربيّة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص74، 75.

[2] آلان هاو: النّظريّة النّقديّة مدرسة فرانكفورت، تر: ثائر ذيب، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2010، ص83.

إضفاء الطابع الاجتماعي للمشاركة الفعّالة من أجل حفظ الأفراد والمجتمعات عبر الوصول إلى الفهم المشترك، على عكس الفعل الأداتي الّذي كانت غايته ماديّة بحتة بعيدا عن كلّ خصوصيّات الفرد والمجتمع.

يربط " هابرماس" بين الفعل التّواصليّ والعالم المعيش باعتبار هذا الأخير مكان تحقق هذا الفعل التّواصليّ على عكس العقل الأداتيّ، حيث أضاف "هابرماس" المعرفة المشتركة والتّجربة المعاشة الّتي يتشارك فيها الجميع، ومن ثمّة لا تنفكّ أواصر المجتمع؛ حيث يوضّح مصطفى إنشاء الله ذلك في كتابه الموسوم بـ" المجتمع المدنيّ"، يقول فيه: « العالم المعيش يدعم الفعل التّواصليّ، والفعل التّواصليّ بدوره يغذّي العالم المعيش عن طريق إثراء مخزون المعرفة المشتركة، ولذا فالعالم المعيش قادر على تشكيل (حائط) صدّ ضدّ التّفكك الاجتماعيّ، إذ يمنح المعنى للحياة الاجتماعيّة، ويَحَول دون نشوء تضارب المصالح بين الفاعلين الاجتماعيين»[1]، يفهم من هذا التّوضيح والقول أنّ "هابرماس" أضاف العالم المعاش الّذي يعتبر روح الفعل التّواصليّ؛ حيث أنّ هذا الأخير يغذي الفاعليّة التّواصلية ويتفاعل معها، فالعالم المعاش هو المجتمع بما يحمل من تشاركات وأواصر تجعله يتفاعل ويتشارك في بنية واحدة، عن طريق المعرفة المشتركة، والتّفاهم المشترك، بعيدا عن كل عمليات التّفكك والانشطار.

يواصل "هابرماس" هدم الفلسفات العلميّة والتقنيّة الّتي أهدمت المجتمع وأهدمت العالم المعاش، هذا بفعل الأداتية المقيتة النّافيّة للمجتمع وخصائصه والداعية للسّلطة والهيمنة، يوضّح ذلك في قوله:« وترتبط العقلنة المتقدّمة بالمجتمع بمؤسسة التّقدّم العلميّ والتّقنيّ بالقدر الّذي يخترق فيه كلّ من العلم والتّقنيّة المجالات المؤسّسة للمجتمع، وبالتّالي تحوّل المؤسسات ذاتها تلغي الشّرعيات القديمة الدنيويّة (ونزع السّحر من صور العالم الموجّه للفعل، وعن الموروث الثّقافيّ بكلّيته، كلّ ذلك إنّما هو الجانب الآخر لعقلانيّة متنامية للفعل الاجتماعي»[2].

ينتقد " هابرماس" العقلانيّة والأداتية الدّاعية إلى هدم المجتمعات ويعتبرها خطرا على الفعل التّواصليّ، لأنّها تسعى إلى بثّ السيطرة والهيمنة وإضفاء الفردنة والمؤسسات الربحيّة والسّلطويّة على

[1] مصطفى إن شاء الله: المجتمع المدنيّ حدود المفهوم عند يورغن هابرماس، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص120.

[2] يورغن هابرماس: العلم والّتقنيّة كإيديولوجيا، مصدر سابق، ص43.

حساب المجتمع، أي كلّما زاد التّقدم العلميّ والتّقنيّ سُلبت حقوق المجتمع وسُلبت موروثاته وثقافته، يريد "هابرماس" من خلال نقده للجانب التّقنيّ أن يعطي للإنسان خصائصه ومميّزاته بعيد عن تدخّل التّقنيّة في حياته، يجب أن تُعَقلن هذه التّقنيّة وتكون في خدمة المجتمع وليس العكس.

فالعقلانية الأداتية أنتجت النزعة التشييئية للطبيعة والإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه، وما يزيد خطورة في هذا التصور هو تحالفها مع الطرح الليبرالي الحر الذي يعطي للأفراد حق التصرف في أجسادهم وذواتهم وحياتهم بحرية مطلقة بعيدا عن أي رقابة أو سلطة، ويقدم هابرماس رأيه في هذا التحالف بقوله: «إن العلم والتقنية قد تحالفا طبيعيا حتى الآن مع فكرة الليبرالية التي تعتبر أن لجميع المواطنين الحق بالفرص نفسها من أجل تكييف حياتهم بشكل مستقل»[1]، وبهذا أضحت العقلانية الأداتية عقلانية للسيطرة، وخطر يهدد استقرار الإنسانية والطبيعة البشرية، ويضيف فيلسوف التواصل يورغن هابرماس في هذا الشأن قائلا: «إن عقلانية السيطرة تحولت الآن إلى خطر اجتماعي يهدد الحياة»[2]، فاليوم أصبح الخوف الأكبر الذي واجهه الإنسان متمثلا في مدى تأثير هذه التقنيات على حياته.

ومنه تحتم على هذه العقلانية الأداتية أن تغدو عقلانية ذات غايات شخصية وسيطرة وهيمنة، بعد أن كان معول عليها فك السحر عن العالم وتحرير الإنسان من مخاوفه وقيوده، فكانت مطمعا للعلاج لصالح الإنسان لا نمط من السيطرة لتنقلب على عكس ما كانت البشرية تحلم به وانقلبت إلى« قيد على التحرير وتحول الانسان الى أداة »[3]، فبعد هذه التجاوزات اللاأخلاقية في إطار العلم والتقنية كان من الضروري إعادة النظر فيها، وهنا كان الفضل للجهد الذي قدمه فيلسوف المدرسة النقدية يورغن هابرماس بتقديمه أنموذج جديد يرمي من خلاله تغيير مسار العقلانية الأداتية وإعادتها إلى الطريق الصحيح، والبحث عن مخرج جديد للمشاكل البيولوجية التي مست قيم الإنسان وحياته، وهذا ما نجده في العديد من كتبه خصوصا "القول الفلسفي للحداثة " و"نظرية الفعل التواصلي " كضرورة لإعادة أخلقة التفكير وتقديم نماذج جديدة للفهم من خلال إعطاء بديل ينقلنا من عقلانية أداتية إلى عقلانية جديدة هي العقلانية التواصلية" la rationalité communicationnel"؛ أي الانتقال من الفعل الغائي ذو الأهداف إلى

[1] يورغن هابرماس: العلم والّتقنيّة كإيديولوجيا، مصدر سابق، ص34.

[2] المصدر نفسه، ص109.

[3] المصدر نفسه، ص05.

الفعل التّواصليّ modelé de communicationnel l'agir الّذي يجد تحقّقه في المجتمع، ويحترم الحرّيات الإنسانيّة والثّقافيّة والميراثُ الإنسانيّ ولا يهدمه[1].

يعني بهذا أن هذا النموذج من العقلانية التواصلية مبني على أخلاقيات مجتمعية على عكس اليوجينا التي فككت أواصر هذا المجتمع وسببت له الضرر والانحلال، لهذا يرجع السبب الرئيسي في نظر هابرماس حول انتشار هذه التقنيات وإقبال الجمهور إلى الآمال الزائفة والوعود الكاذبة حول تحقيق رفاهية وحلم طال انتظاره منذ القديم حول التحكم في الطبيعة، وصحة خالية من الأمراض والعاهات والأمراض الوراثية، بالإضافة إلى إمكانية فرصة حياة أبدية، فأضحت العقلانية خاضعة لتحد سابق وجديد في نفس الوقت هو نزع السحر عن العالم، لأن التقنية أعادت السحر إلى هذا العالم، حيث يقول هابرماس في هذا: «فالعلم والتقنية قد زاد من مساحة الحرية على حساب انحلال اجتماعي أو فك السحر عن الطبيعة الخارجية، ويبدو أنه لا بد من وضع حد لهذه النزعة الجامحة من خلال إقامة تابوات مصطنعة، وتاليا من خلال إعادة السحر الى الطبيعة الداخلية»[2]، ويقصد هابرماس بهذا أن التقنية من بين الممكنات التي جعلت الإنسان يستسلم للسحر والوهم، إعتقادا منه أنها توفر له الرفاهية والسعادة، ولكنها في الحقيقة تنتزع منه حياته دون أن يشعر ويتفطن هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فالإنسان شغوف ومحب لتحقيق أهداف مادية على حساب القيم الأخلاقية، التي تمثل الجوهر الروحي له، فالإنسان إن لم يكن كائن أخلاقي فسوف يفعل أي شيء لإشباع رغباته، ويتخلى عن المعنى الحقيقي الذي وجد من أجله، زيادة عن هذا فإنها تعطي القدرة على تلبية وعود سابقة تحت تصرف الدولة الليبرالية الدستورية على حد تعبير هابرماس « وبالفعل بقدر ما تتوسع التقنية وتصبح أكثر رفاهية لتجعل الطبيعة بمتناول يدنا بقدر ذلك يرتبط بها وعود اقتصادية ونمو إنتاجية وزيادة رفاهية والمنظور السياسي الأكثر حرية في التصرف لجهة أخذ قرارات فردية، وبقدر ما يعزز تنامي حرية الاختيار استقلالية الأفراد الخاصة، فإن العلم والتقنية قد تحالفا طبيعيا حتى الآن مع فكرة الليبرالية التي تعتبر أن لجميع المواطنين الحق بالفرص نفسها من أجل تحقيق حياتهم بشكل مستقل»[3]، إن هذا التوسع السريع للتقنية أصبح يشكل خطرا كبيرا

[1] Jurgen Habermas: théorie de l'agir communicationnelle ,"rationalité de l'agir et rationalisation de société ,tome1,traduit de l'Allemand par Jean-Marc ferry, 1987,p395.

[2] يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص35.

[3] المصدر نفسه، ص35.

على الإنسان وهويته وطبيعته ومقوماته الأخلاقية والقيمية، فالإنغماس في الرفاهية هو في نفس الوقت فقدان للجوهر الإنساني.

يعتقد هابرماس أن هذا التوسع البيوتقني له ما يبرره من الناحية الأنطولوجية الأخلاقية، فهو لا يمانع بأن تكون التقنية ضمن إطار علاجي للقضاء على الأمراض والتشوهات وإعادة الصحة للجسم، لكن ما يرفضه هو تحويل الإنسان إلى وسيلة وأداة، وبالتالي القيام بقتل حريته وتقييده والقضاء على تفرده وتحويله إلى سلعة، لهذا وجه هابرماس جهده نحو نقد الحداثة التقنية، بتوجيه نقده للعقلانية الأداتية في مقاله المشهور "الحداثة مشروع لم يكتمل بعد[1].

المبحث الثاني: الفكر البيوتقني بين المعارضة والتأييد.

لعب التطور التقني دورا هاما في المسائل الفلسفية المعاصرة التي كانت محل نقاش وجدل، خاصة مع فلاسفة الغرب، فانقسمت آراؤهم بين مؤيد يرى أن التطور التقني تطور هائل ومهم في حياة الإنسان، وبين معارض اعتبر هذه التطورات التقنية خطرا كبيرا يمس كرامة الإنسان ويمس قيمته.

أولا: المعارضون للفكر البيوتقني.

1. هابرماس:

تحدث هابرماس عن أهم النتائج التي توصلت إليها التطورات البيولوجية المعاصرة والتي فتحت مجال للجدل والنقاش خاصة في الموت الرحيم، تشخيص ما قبل الزرع، الإجهاض، التدخل الوراثي في الأجنة، الاستنساخ وغيرها من الأبحاث البيوتكنولوجية، حيث يقول: «إن التلاعب الجيني يرتبط بمسائل هوية النوع، والتي تشكل من خلالها الفهم الذي يكونه الإنسان عن نفسه باعتباره كائن ذا ماهية جنسية السياق الذي تنظم فيه تمثلاتنا القانونية والأخلاقية إن البحث الاستهلاكي في الأجنة وتشخيص ما قبل الزرع يثيران ردود فعل قوية إذ يعتبر أن بمثابة الخطر المائل في النسالة الليبرالية التي صارت على أبوابنا»[2]، ويقصد هنا أن التلاعب بالتركيبة الجينية يمس كرامة الإنسان، وينزع منه كينونته وقداسته، لأن الطبيعة البشرية تمنح للإنسان بأن يكون جوهر الأساسي فيها، ولهذا يثبت بأن التلاعب بالإنسان يشكل خطر عليه ويهدد مستقبل

[1] ، يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص44.

[2] يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص ص 32، 33.

الطبيعة البشرية، فالهدف من وراء التقنيات البيوتكنولوجية تغيير الجسم البشري، ذلك عن طريق صفاته الوراثية. إن يورغن هابرماس يحذرنا منن مدى خطورة هاته الأبحاث البيوتكنولوجية، لأن الإنسان أصبح في حالة من قلق حول مستقبله وجهله لمصيره، كذلك ينبهنا هابرماس من التجارب التي طبقت على الأجنة البشرية لأن الجنين أصبح آلة، إذ يقول: «إن الفرق الذي نحسه اتجاه فكرة أن البحث الاستهلاكي للأجنة يجعل الحياة الإنسانية حياة ألية»[1]، من خلال قوله نفهم أنه يدعو إلى احترام حقوق الجنيين لأن هاته الأبحاث التي تقوم عليه تمس قدسية الحياة البشرية، وبالتالي تصبح الحياة هنا ألية.

لم يقف هابرماس عند هذا الحد، وإنما واصل بحثه حول مدى تأثير هاته الأبحاث على الطبيعة الإنسانية، فنجده يؤكد على أن هذه الأبحاث لا تهدد البشرية فقط، وإنما تهدد الوجود الإنساني[2]. يرى هابرماس أنه واجب علينا وضع حدود أخلاقية لحماية الإنسان من هاته التطورات البيولوجية، وخاصة الاستنساخ، ويدعو أيضا إلى إعادة النظر في الطبيعة الإنسانية وحمايتها من التقنيات البيوتكنولوجية[3]، إن هابرماس يرفض هاته التطورات البيوتقنية التي هددت مستقبل الإنسان.

كما تطرق أيضا للكرامة الإنسانية التي انتهكت، خاصة فيما يتعلق بمسألة تجميد الأجنة المخصبة والاحتفاظ بها لفترة، فهذه القضية تخص قداسة الإنسان وتخص الحياة ما قبل الولادة، هذه المسألة أعطى لها يورغن هابرماس أهمية كبيرة ومكانة عالية[4]، إن الحياة الإنسانية قبل الولادة أو بعدها تتطلب الاحترام، فالجنين في رحم أمه له حقوق، وواجب علينا الحفاظ على حقه ومكانته، حيث يقول: «اعتبار الجوهر المعياري الذي يجعل من الحياة الإنسانية ما قبل الشخصية حياة جديرة بالحماية لا يوجد. تعبيرا مقبولا من الناحية العقلانية من طرف كل المواطنين لا في لغة التجريبية المتموضعة ولا في لغة الدين»[5]، يقصد هنا

---

[1] يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص 86.

[2] موسى قروني: مشكلة استنساخ الأجنة البشرية بين البحث العلمي والقيم الأخلاقية، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة، الطور الثالث، تخصص فلسفة تطبيقية، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، ص 110.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها..

[4] محمد بوحجلة: البيوإتيقا كفلسفة جديدة ومسألة الكرامة الإنسانية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 1، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص 54، 55.

[5] يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية، نحو مسالة ليبرالية مصدر سابق، ص 43.

الحياة ما قبل الولادة مختلفة تماما عن الحياة بعد الولادة، ويؤكد كذلك على وضع قوانين الأخلاقية تحمي الكائن البشري في رحم أمه لأن الإنسان أصبح لا يملك حرية التصرف وأصبح خاضعا لهذا التعديل. وبالتالي هنا هابرماس يدعو للحفاظ على مستقبل الطبيعة البشرية لأنها تهدد كيانه.

2. مارتن هيدجر:

يؤكد مارتن هيدغر* على خطورة التقنية التي لا تساهم في حماية كينونة الإنسان، بقدر ما تشكل خطرا وتهديدا لكيانه ووجوده ومستقبله، فالخطر الذي تشكله التقنية عليه هو فقدان للحرية التي يتمتع بها وأصبح خاضع لها [1]، «أفرغت التقنية الإنسان من جوهره وروحه الحقيقي، تعتبر التقنية آخر وجه من وجوه الميتافيزيقا التي نسيت سؤال الوجود وأهملت سؤال الكينونة، فكل ما عملته التقنية هو أنها أفقدته أصله، جعلته تائها لا يعرف حقيقة قيمه ومبادئه»[2]، وهذا معناه أن هاته التقنيات لم تحفظ جوهر الإنسان وأفقدت مكانته ولا يعرف وجوده الأصلي، هذا دفع بهيدغر إلى تحذيرنا من خطورة استخدام هاته التقنيات ضد الإنسان، ويثبت لنا مخاطرها ونتائجها السلبية عليه، لأنه أصبح يعيش في ظل العملاق التقني، ويقر بهذا الأخير أصبح يتحكم في الإنسان بدل من أن يتحكم الإنسان فيه، فلهذا لم يتقبل هاته التقنيات المسيطرة على الإنسان، فالأزمة التكنولوجية أنتجت أزمة في العالم الإنساني، قلبت كيانه وقضت عليه، وعليه رفض هاته التطورات لأنها مهما ساهمت في بناء ومعالجة الإنسان، فهي له هدامة بصفة أكبر حيث يقول: «لقد أصاب التهديد الحقيقي الإنسان في وجوده فسيادة التقنية تهددنا من احتمال رفضها»[3]، إن كل ما تسوده التقنية على الإنسان تكمن الخطر عليه.

3. هانس يوناس:

*مارتن هيدغر: فيلسوف ألماني (1889-1976) من أبرز مفكري القرن العشرين، بل إن تأثيره قد تجاوز الفلسفة ليشمل اللاهوت وعلم النفسة والنقد الأدبي، صاحب الكتاب الكينونة والزمان: أطلس الفلسفة، المكتبة الشرقية، علي مولا، شركة الطبع والنشر، لبنان، (د ط)، (د س)، ص207.

[1] بن فريحة أسماء: التقنية ومصير الوجود الإنساني قراءة في نص التقنية الحقيقة الوجود «مارتن هيدغر»، مجلة مقاربات فلسفية، العدد 2، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ص 122.

[2] المرجع نفسه، ص123.

[3] مارتن هيدغر: الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1998، ص84.

إن البيوتكنولوجيا المعاصرة لم تبقي على وظيفتها المتمثلة في العلاج والوقاية، وإنما أصبحت وظيفتها تمديد حياة الإنسان، وبالتالي الحياة الإنسان أصبحت ليست طبيعية وإنما مصطنعة، وهنا لم يعد هناك باستطاعتنا التفريق بين البيولوجي والفيزيائي، لأن البيولوجي أصبح يصنع ويجمع مثل أي مادة جامدة في الطبيعة[1]، وهذا مايرفضه هانس يوناس، فهذه التقنية التكنولوجية المعاصرة التي تمس بكينونة الإنسان وقيمته، ولهذا يسعى للدفاع على صورة الإنسان والمحافظة عليها ويخصص مكانته في الطبيعة [2]، لأن الإنسان مهما كانت صفته فهو يحمل كامل الشروط الإنسانية، هاتفه الأخيرة تحفظ كرامته، لذا أقر هانس يوناس بأن هاته التقنيات المعاصرة لا تمتلك روحا لأنها تدفع الإنسان نحو مستقبل غير معلوم، وهذا نتيجة ما ألحقته التقنيات المعاصرة بقداسة الإنسان، لأنه كلما ازدادت هذه التطورات التكنولوجية ازدهارا ازداد معها الخوف الإنساني ويزداد معها الخطر، وعليه يرفض هذه التطورات والتقنيات التكنولوجية التي تؤدي بالإنسان للتهلكة، ويؤكد أيضا بضرورة ضمان مستقبل الإنسانية ومواجهة الاكتساح التكنولوجي الذي يتلاعب بجينات الإنسان، ويصر على ضرورة بقاء الإنسان كما هو على طبيعته، وكذلك أيضا يثبت أن بالرغم من التطور البيوتقني أصبح الموت بلا معنى وأصبح بإمكان التقنيات إبقاء جسم الإنسان حيا، ولهذا يقول لابد أن يكون الحق في الموت كالحق في العيش.

4. فرانسيس فوكوياما:

أصبح الإنسان يعيش حالة اغتراب شديدة قادته إلى التشيؤ وأصبح يخضع لسيطرة التقنية، مما خلف الكثير من المشكلات الأخلاقية، أثارت الكثير من الجدال بسبب تغير نظرة العالم، يقول فوكوياما:« كما سنرى سيبدو العالم شديد الاختلاف في العقود القادمة دون أن نفترض افتراضات بطولية حول احتمالات الهندسة الوراثية اليوم، وفي القريب جدا تواجهنا خيارات أخلاقية حول الخصوصية الوراثية والاستخدامات المناسبة للأدوية، والأبحاث المتضمنة للأجنة والدرجة التي يمكن بها استخدام كل التقنيات

[1] أحمد شوال: قداسة الحياة الإنسانية والبيوتكنولوجية المعاصرة هانس يوناس نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة الطور الثالث، فلسفة تطبيقية، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر، ص104.

[2] المرجع نفسه، ص125.

الطبية لأغراض التجميل، وليس لأغراض علاجية»[1]، هذه ليست مجرد تنبؤات بل أشياء واقعية، «كما يتحدث فوكوياما عن التحدي الذي تطرحه التقنية اليوم، وهو الاتحاد بين الطبيب والتقنية ضد الإنسان خاصة، ولذا فوجب على الدول تنظيم التقنية وتطويرها واستخدام سياسيا لحماية وتعزيز الازدهار البشري، وليس لأغراض ضد البشرية، وإنشاء مؤسسات تقوم بالتميز بين التطورات التقنية التي تعزز الازدهار البشري وبين تلك التي تمثل تهديدا للكرامة البشرية، لقد أفرز الجدل حول التقنية الحيوية اليوم معسكرين أو اتجاهين: الأول: مؤيد لمذهب الطبيعية البشرية، والثاني: الذي نادى بمخاوف أخلاقية إزاء التقنية الحيوية، ونادى بضرورة الكرامة للجسد البشري»[2]. اعتبر فوكوياما أن الهندسة الوراثية جاءت بمجموعة من التغيرات التي تحمل مستقبلا فيه الكثير من الخطورة، وتؤدي بالإنسان للتهلكة، لأنها ستقوم بالتغيير الطبيعية البشرية التي تعتبر أمر مهم للبشر أكثر من أمور أخرى مهمة لهم، لأنها ستتجاوز مفاهيم راسخة عن المساواة بين البشر بفعل التعديل الوراثي الذي سيقوم بالقضاء على القدرة في الاختيار الأخلاقي[3]. إن هذا التعديل الوراثي يعتبر من الأمور الخطيرة التي ستخلفها الهندسة الوراثية بل ستغير من طبيعته وستحدث الكثير من الاختلالات داخل المجتمع لم تعرفها الإنسانية من قبل، وذلك يثبت بأن العلم مهما تطور سيصبح خطرا لأنه يتلاعب بطبيعة البشرية، ويهدد كيان الإنسان وقدسيته، لأن هاته الأبحاث أتاحت للعلماء تغيير التركيب الوراثي للإنسان، وهذا ما يجعله يفقد مقدساته، إن الخوف من تغيير طبيعة الإنسانية سيقودنا نحو عالم لا نميز فيه بين الإنسان والآلة، لأن التجريب على البشر يشكل لنا خطر كبير[4]، يقول فوكوياما: « أما العقبة الرئيسة الثانية التي تواجه الهندسة الوراثية البشرية فتتعلق بالتجريب على البشر»[5] ، يرفض فوكوياما هاته التجارب لأنها تفقد كرامة الإنسان، وه يدعوا إلى الحفاظ على هاته الكرامة، وإثبات خطر هاته التقنية على الحياة البشرية فتطبيق هاته التقنيات التكنولوجية المعاصرة دون وازع أخلاقي حتما سيؤدي إلى نتائج غير متوقعة، ولهذا يؤكد فوكوياما على ضرورة

[1] فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، الإمارات، 2006، ص 32

[2] المرجع نفسه، ص ص 224 225.

[3] سفيان عمران: البيوتيقا ومستقبل الإنسان عند فرانسيس فوكوياما، تحديات الثورة البيوتكنولوجية وسؤال الأخلاق، مجلة الباحث، المجلد 13، العدد 2، بوزريعة الجزائر، ص ص 512 513

[4] المرجع نفسه، ص 513.

[5] فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، مرجع السابق، ص 103.

الحفاظ على إنسانية الإنسان، والسعي للحفاظ على كيانه، فهو يرفض رفضا تاما التقنيات التكنولوجية المعاصرة التي تهدد البشر.

5. إدغار موران:

يرى الفيلسوف إدغار موران* أن التقنيات البيولوجية المعاصرة تتحكم في الحياة البشر وتتلاعب في تركيباته بكل سهولة، إذ يقول: «بدأت البحوث تفك رموز العوامل الوراثية الجينوم، واستكشاف الدماغ، فأتاحت بذلك أولى المعالجات الجينية والمتصلة بالخلايا، والأجنة والاستنساخ البشري والدماغي. إنها بدايات التحكم بالحياة البشرية»[1]، إن إدغار موران هنا يوضح بداية التحكم التقنيات الطبية في الإنسان وذلك بداية من اكتشاف العوامل الوراثية. إن البيولوجيا قد أفرزت العديد من التقنيات البيولوجية مثال ذاك استنساخ الأجنة، الإخصاب الصناعي وغير ذلك من تقنيات هاته الأخيرة سمحت للأطباء التدخل في ولادة الإنسان وفي تحديد صفاته الوراثية، حيث يقول: «لقد حصل التكافل الجديد في التقنيات الجديدة متيحا التدخل في ولادة الكائن البشري وهويته والتحكم بدماغه»[2]، ويقصد هنا بهذا التحكم في الدماغ أنه سيصبح الإنسان مبرمجا في المستقبل، كذلك أصبح مستقبل الإنسان غامض، ذلك نتيجة تطورات البيوتكنولوجية التي مست بقداسة الإنسان، يقول إدغار موران: «ونرى أيضا مستقبلا مشؤوما بعد الأجسام المحورة وراثيا، قد يعمل على إنتاج الأجسام البشرية المحورية وراثيا، وقد يصار إلى إنتاجها إنتاجا معياريا وتطبيعها وعندئذ تصبح الصفات والطباع البشرية عبارة عن أشياء وبضاعات.»[3]، فمن المتوقع أن يتم إنتاج أجسام بشرية متحولة وراثيا وتصبح قابلة للتجريب، وهذا ما أكده إدغار موران بأن هذا التلاعب بالإنسان حط من قيمته وأصبح لا يملك جوهره وأصبح كذلك معرضا للخطر، كذلك أيضا تحدث عن حاضنات اصطناعية التي تحمل الجنين، حيث يقول: «إن التكاثر بواسطة السائل المنوي

*ادغار موران: ولد في باريس 1921، درس التاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة، عمل في الصحافة وشغل منصب رئيس بحوث خبير في المركز الوطني، كرس حياته منذ ثلاثين عاما في البحث منهجية قادرة على تحدي التعقيد.

[1] إدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: هناء صبيحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ط1، 2009، ص1.

[2] المرجع نفسه، ص 294.

[3] المرجع نفسه، ص 295.

المجهول، والحمل بواسطة أمهات تحمل الطفل أو حاضنات اصطناعية»[1]، هذا معناه أن هاته التقنيات تدخلت في كيان الإنسان وأصبح الإنسان مجرد آلة يتحكم فيه وذلك نتيجة التطورات البيوتكنولوجية التي جعلته يفقد المسؤولية عن حياته، إن المساس بكرامة الإنسان وحط من قيمته بسبب الكثير من المشاكل وعرض حياته للخطر حيث كذلك أصبح سلعة، فلهذا يرفض إدغار موران هذه التقنيات البيوتكنولوجية لأنها أدت بالإنسان إلى التهلكة وأصبح عاجزا عن دفاع عن حريته والحفاظ على قداسته ومكانته وكينونته في هذا العالم.

6. فرانسوا داغوني:

يعتبر الفيلسوف فرانسوا داغوني* من بين الذين اهتموا بمناقشة المشاكل التي أثارتها التطبيقات العلمية بصفة عامة والتقنيات الطبية بصفة خاصة، إذ يعتقد أن هذه التطبيقات التكنولوجية لا تخص الأخلاقيين ولا المشرعين ولا الحقوقيين ولا حتى البيولوجيا الطبية نفسها، حيث يقول: «إننا نعتقد بالفعل، أن في استطاعة الفيلسوف بل ينبغي عليه أن يأخذ هذا الدور حتى يمزق هذه الذرائع، ويعيد النظر في نتائج هذه التطبيقات»[2]، يبدو أن كل المواقف أتت لكي تؤكد من جديد قيمة الإنسان، وبالتالي تحكم على التقنية بشكل عام، والتقنيات الطبية بشكل خاص على أنها تمس بالكرامة الإنسانية ولا تحترم أبعاد الإنسان[3]، وعليه يقر بمنع التجريب الإنسان على الإنسان، ويؤكد أيضا على ضرورة حفظ الحياة، ورفض كل ما ينقص من كينونة الإنسان، إن داغوني يرى أنه يجب أن نترك للحياة حريتها، لأن التحكم فيها يؤدي إلى التقليل من قيمة الإنسان[4]، فمثلا نجده يعارض عدة تقنيات ومن بينها الاستنساخ «لأنه يهدف إلى الإبقاء

---

[1] إدغار موران: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، مرجع سابق، ص 295.

* فرانسوا داغوني: طبيب وفيلسوف فرنسي، ولد سنة 1924: من مؤلفاته الفلسفة ل لحيوية، العقل والأدوية، الكتابة والأيقونوغرافيا، جورج طرابشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيين، المتصوفون) دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، ص 279.

[2] العمري حربوش: التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في فلسفة فرانسو داغوني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص 125، نقلا عن français Dagognet, le vivant, p 164

[3] المرجع نفسه، ص 125.

[4] المرجع نفسه، ص 137.

على النوع كما هو، وذلك كلما تم استنساخه، ويؤدي إلى تفقير الكائن الحي»[1]، والمقصود هنا أن تقنية الاستنساخ حتى وإن كانت غايتها تهدف إلى التحسين الإنساني، فالنسبة له خطأ لأننا لا نعلم أي إنسان ننتظر، كذلك نجد نظرته للإخصاب الصناعي يشوبها التحفظ، إذيُعتقد أن الغاية منه القضاء والسيطرة على العقم، ولكن رأي داغوني حول هذا التطبيق التقني العلمي على الإنسان مختلف، إذ يؤكد أنه عقد مسائل كثيرة، وألحق به بأصناف أخرى مثال ذلك الأم العازبة والشاذات جنسيا وهذا بالنسبة له يلحق الضرر للطبيعة الإنسانية، ويجعلنا في دوامة لانعرف نتائجها مستقبلا لأن الإنسان هو مصدر الطبيعة وأساسها. يعتقد بأننا نعلم أثر هذه التقنيات ومدى خطورتها على الكائن الحي لكن نتعدى تلك حدود. التي تمس هذا الكائن «وعليه يدعو إلى إقامة حاجز يمنع هذه المشاريع الخطيرة، كما يدعو إلى إعادة إقامة فلسفة البيولوجيا في صميم البيولوجيا نفسها»[2]، وهذا معناه أنه يدعو إلى التوجه العقلاني في استخدام هاته التقنيات، ويرفض بأن تكون البيوتيقا عائقا في وجه التطورات التقنية الطبية المعاصرة.

ثانيا: مؤيدو التقنية.

1. بيتر سلوتريديك:

يعتقد الفيلسوف بيتر سلوتريديك* بضرورة تطبيق التكنولوجيا الطبية على جسد الإنسان ونجد ذلك في كتابه «قواعد لحظيرة النوع البشري»، حيث بين في كتابه أن التحولات والتطورات الكبيرة العلمية والتكنولوجيا المعاصرة أحدثت ثورة في مجال الهندسة الوراثية والتخصيب الاصطناعي وأطفال أنابيب والموت الرحيم، وبالتالي تأكيده على أن التكنولوجيا أصبحت تؤدي دورا مهما جدا في مجال تحسين النوع

[1] العمري حربوش: التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في فلسفة فرانسو داغوني، مرجع سابق، ص 137، نقلا عن français Dagognet, le vivant, 179p

[2] مجكدود ربيعة: مستجدات البيولوجيا، من المجال البيو أخلاقي إلى التوجه البيو سياسي في فلسفة فرانسو داغوني، سلسلة الأنوار، المجلد 13، العدد 2، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ص299.

* بيتر سلوتريديك: فيلسوف ولد عام 1947، درس الفلسفة واللغة والتاريخ وتحصل على الدكتورة، صاحب الكتاب المشهور قواعد الحظيرة البشرية.

الإنساني والارتقاء به[1]، أقر هنا بيتر بأن لابد على الإنسان أن يخضع لتطبيقات الطبية التكنولوجية المعاصرة لأن لها دور فعال في تحسين النوع البشري خاصة. ويؤكد بيتر سلوتريديك أن التكنولوجيا المعاصرة منحت الإنسان المعاصر إمكانية تحسين صورته وتقويم جسمه[2]، وهذا معناه أن هاته التطورات التقنية المعاصرة هدفها الوحيد الاهتمام بالحياة الصحية للإنسان بصفة كبيرة، أي أن الإنسان ليس مفهوما نهائيا وإنما هو مفهوم تشكيلي، وهذا ما يدل عليه تاريخ الإنسان ذاته الذي يبين لنا أن الإنسان لطالما سعى بكل الطرق والوسائل سواء منها الأخلاقية أو التكنولوجية وغيرها من أجل تحسين ظروف حياته، بل حتى تحسين نوعه[3]، وتؤكد فلسفة بيتر سلوتريديك على أن الإنسان هو سيرورة نحو الإنسان وما تطبيق التكنولوجيا المعاصرة في مجال الطب والبيولوجيا إلا حلقة من هذه السيرورة، فمن حق الإنسان بناء على حريته التامة والمطلقة أن يختار الثورة البيوتكنولوجية لأنه صار ينبغي التعويل على تدخل العلم في تطوير الإنسان[4]، والمقصود هنا أن هاته التكنولوجيا لها دور الإيجابي في تحسين كينونة الإنسان وتطبيق هاته التقنيات عليه بهدف الوصول إلى أنموذج كامل للنوع الإنساني.

المبحث الثالث: مستقبل القيم الإنسانية.

إن الطموح الذي ينشده علم الأحياء ليس له نقطة نهاية ومن الواضح أن سقف هذه الأبحاث لا تقف عند حد معين، وهذا ما يطرح العديد من التساؤلات والإشكالات وفي مقدمتها قيمة الانسان وكرامته.

إن المخاوف التي طرحتها الهندسة الوراثية والتقنيات البيولوجية تجعلنا في حيرة دائمة على مستقبل وقيمة الانسا،ن لأن هذه التطورات نتائجها غير معلومة، فالخوف الذي تطرحه التدخلات العلمية في الكائن الحي يبعث على الخوف في المستقبل، توضح ناهدة البقصمي في كتابها الهندسة الوراثية والأخلاق أن الخوف مرتبط بالمستقبل لأنه مجهول حتى الخوف من الماضي للحظة الآنية، لكننا نجهل

[1] محمد بن سباع: دور التكنولوجيا في تحسين النوع البشري عند بيتر سلوتريديك، مجلة الدراسات، المجلد 14، العدد 2، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص191.

[3] المرجع نفسه، ص 192.

[4] المرجع نفسه، ص 191.

المستقبل[1]، وعليه نحن مطالبون أكثر من أي وقت بضرورة التفكير في مستقبلنا والعمل الجاد على حمايته من كل خطر يهدده مهما كان نوعه، ولا يتأتى لنا ذلك إلا من خلال تكثيف الجهود وتوحيدها، وفتح قنوات الحوار الجاد، مع جميع الأطراف لأننا كلنا مسؤولون عن مصيرنا ومستقبلنا.

فالتطورات العلمية وتدخلاتها في الكائن الحي لا تخبئ للإنسان أشياء إيجابية، ففي المستقبل إذا تواصلت هذه البحوث والهندسات الوراثية ستكون نتائجها وخيمة على الإنسان وعلى قدسية الحياة، أي نحو أفول الإنسان الحقيقي، فقد نرى في المستقبل إنسان ذو خصائص أخرى غير إنسانية بفعل التدخل البيولوجي والتعديل في أصل الانسان لذلك، فالخطر المستقبلي قائم نحو قيمة الإنسان وقدسية حياته وعليه تواصل ناهد البقصمي تخوفها منذ الهندسة الوراثية فتقول: «حين نخاف من الهندسة الوراثية ونحاول ان نمارس حريتنا من خلال شعورنا بالخوف والقلق لا نخاف مما نعرفه وانوا مما نجهله، .... ولذلك فان التفكير فيها بهذا المعنى تفكير مستقبلي»[2].

إن التوقعات المستقبلية لمستقبل وقيمة الإنسان يبعث على الحيرة، فلا ندري بعد النتائج التي ستصل إليها، ولا ندري بعد مستقبل الإنسان الحقيقي في ظل التطور العلمي، لذلك يجب أن نجعل من الأخلاق سندا لهذه الممارسات لكي لا تحيد عن غاياتها الحقيقة وهي خدمة الإنسان ومجتمعه.

إن التدخلات التقنية والعلمية والبيوطبية واستعمال التكنولوجيا المعاصرة عل عضوية الإنسان، قد نتج عنها الرجوع الى سؤال القيم والأخلاق، وكون الإنسان كائن أخلاقي فلا بد من تأطير هذه الممارسات بالقيم لحماية قيمه ومستقبله، يتناول فرانسيس فوكوياما ذلك ويوضح أنه آن الأوان لكي تؤطر هذه الممارسات، ليس تنظيرا فقط وإنما الدفع بها وجوبا إلى الاطار العملي والتطبيقي حيث يقول: «لعبت هذه اللجان دورا في غاية الأهمية بان قامت بالعمل الذهني الأساسي الثقيل للتفكير في التضمينات الأخلاقية والاجتماعية للبحوث البيوطبية، لكن لقد آن الأوان كي نتحرك من التفكير إلى العمل، من التوصية إلى التشريع إننا نحتاج الى مؤسسات لها سلطة التنفيذ الفعلي»[3].

يؤسس فوكوياما لمحاولة ربط وتأطير الممارسات العلمية بالجانب الأخلاقي نظرا للواقع الذي أصبح يهدد حياة الانسان، حيث يوضح فوكوياما خطر هذه التدخلات العلمية، ويقترح أن تكون هناك

[1] ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص202.

[2] المرجع نفسه، ص202.

[3] فرانسيس فوكوياما، نهاية الانسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، مرجع سابق، ص286-287.

مواثيق وقوانين صارمة تتدخل في حماية حقوق الانسان وقدسيته وقدسية حياته، وأن تكون هناك مؤسسات فعلية وصارمة في بعث مفهوم الاخلاقيات التطبيقية التي تحمي الحياة.

يواصل فوكوياما دفاعه على الأخلاقيات والحركة الأخلاقية التي ظهرت وتطورت مع جماعة الأخلاقيين البيولوجيين ويثني عليها، لأنها وحدها الكفيلة بحماية الانسان وقيمه ومستقبله حيث يقول: «أما جماعة الأخلاقيين البيولوجيين التي نمت في ترادف مع الصناعة البيوتكنولوجية فتعتبر في كثير من النواحي سلاحا ذا حدين، فهي من ناحية قد لعبت دورا غاية في الأهمية في إثارة الشكوك والتساؤلات حول الحكمة من ابتكارات تكنولوجية معينة وحول أخلاقياتها، وسنجد من ناحية أخرى أن الكثير من رجال الأخلاقيات البيولوجية وقد أصبحوا مجرد مبررين متكلفين وسفسطائيون لكل ما يشاؤه المجتمع العلمي»[1].

تزامن نشوء الحركات الأخلاقية مع التطور البيولوجي المعاصر وفي هذا التقاء جديد بين العلم والأخلاق أو عودة سؤال القيم، لأن الجشع الإنساني لم يتوقف في نقطة نهاية أو حد معين بل تجاوز ذلك الى الاستثمار في قدسية الحياة الإنسانية وما تحمله من طبيعة فريدة، لذلك يحاول فوكوياما أن يزيد من تطور الفكر الأخلاقي الجديد الذي يتصدى لهذه الثورة الجامحة، ويؤمن المستقبل الإنساني، لكنه ينتقدها لأنها بقيت حبيسة التنظير وبعيدة عن الفعل الإجرائي الذي يمنع ويحول دون هذه الممارسات الخطيرة التي أحدثت إشكالية كبيرة لا يعرف الانسان مصيرها ونتائجها.

ينتقد يورغن هابرماس التطورات البيولوجية وآثارها الأخلاقية، لأنها أضحت تشكل عائقا كبيرا أمام الحياة الطبيعية للإنسان والكائن الحي خاصة في تفاعله مع مجتمعه ومع ذاته، لأنها تطرح كذلك مشكلة "الحرية" لأن النسالة كما يطلق عليها هابرماس لا تعطي الحرية للفرد قبل ولادته وبعدها، فقبل ولادته قد اختير ليكون بمواصفات اريد لها ان تكون مسبقا، وبعد ولادته كيف يكون تعامله مع مجتمعه، وكيف ينظر المجتمع إليه في ظل الرؤية الكونية والقيم الشاملة، فهذه العمليات تشكل انشطارا رهيبا للمجتمع والأفراد على حد سواء يقول هابرماس "ومن ثمة أن تظهر البرمجة النسالية لبعض السمات وبعض الاستعدادات المرغوب فيها شكوكا أخلاقية، عندما تضع الشخص المعني في مواجهة مشروع حياة معين، تحدده بكل الأحوال بطريقة خاصة، في حرية اختياره لحياة تخصه وبالطبع يمكن للمراهق أن يتبنى القصد

[1] فرانسيس فوكوياما، نهاية الانسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، مرجع سابق ، ص287.

"الغريب" الذي ربطت به عناية الأهل قبل ولادته استعدادا لبعض الكفاءات كما لو كان استجابة لدعوة عائلية"[1].

يشير هابرماس أيضا لمسألة في غاية الأهمية وهي مسألة تتعلق بقيمة ومستقبل الإنسان ألا وهي الحرية، فالإنسان يجب أن تكون حريته طبيعية قبل الولادة، وأن لا تختار له صفاته، وهذه هي الطبيعة الإنسانية، أما مرحلته ما بعد الولادة يجب أن يكون فيها حرا، كذلك في تفاعله مع الآخرين ومع أسرته ومجتمعه بأنه إنسان طبيعي، يتمتع بكل حريته وحقوقه، وهذه هي القيمة الأساسية للإنسان أن يكون حرا يتمتع بالمساواة والحقوق، كباقي أفراد المجتمع.

إن الممارسة النسالية والتطور البيولوجي يطرح اشكالا آخر هو إشكالية التغرب، وهو أن يصبح الإنسان لا يتحكم في عضويته، ويكون غريبا عن هذا الحشد الذي أنتج بفعل فاعل إزاءا له أن يكون بمواصفات معينة، وهنا يكون الانسان بلا مستقبل، إنسان غريب عن ذاته وحقيقته وطبيعته، حيث يقول هابرماس:« فاذا ما تم تبني النية بهذه الطريقة، فلن يكون الوجود الجسدي أو النفسي متأثرا بالتغرب أو ما يشبه ذلك، نعني بذلك قصر الحرية الأخلاقية على أن تعيش حياة "شخصية" لكننا بموازاة ذلك، لا نستطيع اطلاقا تفادي حالات أكثر نشازا، طالما انه من غير المسموح لنا أن نضمن إمكانية حصول تناغم بين النوايا الشخصية والنوايا الغربية»[2]

حاولت البيولوجيا تغريب الإنسان عن ذاته وعن مجتمعه عن طريق النسالة، لهذا فالإطار الأخلاقي الفعلي يجب أن يكون حاضرا ومسؤولا على مثل هذه الممارسات، لكي لا يندم الإنسان في المستقبل، ولا تضيع قيمه، لذلك يجب أن تبقى الطبيعة الإنسانية على حالها الأصلي، لأن الإنسان يشوه كل ما هو جميل في الطبيعة الأصلية للأشياء.

كان الحلم الإنساني دائما هو السيطرة على الطبيعة، وقد استطاع ذلك عن طريق إخضاعها للعلم، ثم انتقلت هذه النظرة لسيطرة الإنسان على الإنسان، وهذا هو الخطر الحقيقي الذي يخشى منه على قيمة الإنسان المستقبلية لذلك وجب إنزال الأخلاقيات الى الممارسات الطبية، وإعادة القيم الأخلاقية إلى حضن الممارسات العلمية.

---

[1] يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مصدر سابق، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص76.

إن الإنسان اليوم في ورطة حقيقية تتمثل توسطه بين ثورة بيولوجية معاصرة وثورة قيم إنسانية ولا بد من التفاعل بينهما، كون أن هذه الثورة وخاصة في مجال الهندسة الوراثية أضحت أخطر من الذرة وقنابلها على الإنسان فأصبحت تهدد قيمه وحضارته، حيث يقول في هذا السياق سعيد محمد الحفار في كتابه البيولوجيا ومصير الانسان: «فالتقدم الكبير المذهل في البحوث البيولوجية وخاصة في نطاق (هندسة الوراثة او هندسة الجينات) وهي أبحاث خطيرة بأن تحدث ثورة تفوق القنبلة الذرية وتتجلى تلك الثورة في الدراسات الخاصة بالتأثير على العوامل الوراثية عن طريق التلاعب" بالجينات" وفي الأبحاث الكيميا–حيوية على الدماغ...الخ. واضح أن مثل هذه الثورة العلمية البيولوجية ستغير أسس حضارتنا، وتبدل أركان حياتنا وخاصة إذا ما أمكن تحقيق أحلام أصحابها خلال القرن الحادي والعشرين، سواء أكان ذلك منوطا بوجهها المشرق أو بوجهها المظلم»[1].

لا بد للإنسان أن يفهم جيدا ما يدور في بيئته ومحيطه الخارجي باستحداث طرق ووسائل فهم جديدة كالتصدي لبعض التكنولوجيات وتنقية المنظومة الفكرية من سيطرة التكنولوجيا عن طريق جهاز يعلمنا طريقة نحترم من خلالها حدود استخدام التكنولوجيا فالمشكلة ليست متعلقة باكتشافها وإنما بعقلانية التطبيق والتحكم فيها، ولذا يضيف في هذا الحفار قائلا:« إننا يجب أن نخلق بالفعل غربال بيئيا لحماية أنفسنا ضد التطفل الخطر، اعني جهازا يختص بمراجعة التكنولوجيات الشديدة الاستخدام وخاصة المتعلقة بالصحة العامة، قبل طرحها في بيئة ما للتداول، والأهم من ذلك إذا كان التغيير الذي سينتج في الطبيعة ضخما ومفاجئا بحيث لا يمكن مراقبة آثاره وإصلاحها»[2].

إن مستقبل الإنسان يقتضي حماية ذاته ومجتمعه، وحماية طبيعته فقيمة الإنسان تتلخص في كونه كائن قيمي، فتطور التكنولوجيا أضحى يشكل خطرا كبيرا على الإنسان وبيئته، لذلك يجب التحرك للحد من التصرفات الغير عقلانية، التي أصبحت تقف عائقا وتهدد الكيان الإنساني خاصة وقدسية الحياة عامة.

كنتيجة لهذا المبحث نستطيع القول أنه يجب على التدخلات العلمية في الكائن الحي أن تؤطر بجانب أخلاقي وقيمي يحمي قيمة الإنسان، ويجعل مستقبله بعيدا عن التخوفات والتوجسات التي أصبحت

[1] سعيد محمد حفار، البيولوجيا ومصير الانسان، مرجع سابق، ص ص254–255.

[2] المرجع نفسه، ص274.

تضع الإنسان في إطار المستقبل المجهول، كون هذه البحوثات لا تقف عند حد معين لأن طموحها يزداد يوما بعد يوم.

خاتمة

خاتمة

وبعد إتمام هذا البحث، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها في نقاط التالية:

- إن الثورة البيولوجية كانت نتائج الفتوحات العلمية التي تبنتها الحداثة، وكانت منطلقها الأول، حيث تواصلت هذه التقنيات إلى الدخول إلى عضوية الكائن الحي.
- تطورت التقنيات وتوصلت إلى الأشياء الدقيقة في عضوية الكائن الحي، خاصة بعد اكتشاف خارطة الوراثية والحمض النووي.
- كان الخطاب الأخلاقي والبيوتيقي ليورغن هابرماس ينذر بخطر هذه الممارسات على الكائن الحي خاصة في مجاله الفردي والاجتماعي، لأنها تمس كرامته وحريته وقدسية حياته.
- بحسب هابرماس إعادة طرح سؤال الأخلاق بعد التجاوزات التقنية وتدخلها في الكائن الحي، حيث حاول من خلال آراءه الفلسفية والفكرية تأطير الممارسات العلمية على الكائن الحي والحياة برمتها.
- تناول هابرماس في كتابه مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، رؤية حول فهم الجنس البشري لأخلاقياته وقيمه، لأن الإنسان كائن أخلاقي.
- دافع هابرماس عن طبيعة الحقيقية للإنسان، وإعطائه كل الحرية قبل الولادة وبعد الولادة، أي بعد تفاعله مع مجتمعه.
- حارب هابرماس من خلال خطابه الإيتيقي مسألة الاغتراب، وهو عدم ترك طبيعة الإنسان الحقيقية بعضوية طبيعية وحرة، لأن ممارسات البيولوجية أخلت الحسابات مع الإنسان الطبيعي والإنسان المتدخل فيه.
- إن هذه التدخلات وبحسب هابرماس أعطت الحق لأشخاص غير معنيين بتحديد قيم إنسانية تحت مبرر البحث العلمي.
- يعبر هابرماس عن مدى خطورة تجاوزات الأبحاث البيولوجية التي تبعث الخوف في نفوس البشر وانعكاسها سلبا على الطبيعة البشرية والقيم الإنسانية.
- إن التطور العلمي البيولوجي سيؤدي إلى أفول الأخلاق ويصبح لا معنى للقيم الإنسانية.
- إن التطورات التقنية والبيولوجية في نظر يورغن هابرماس تُذْهِبُ الأصل الإنساني، وتُذْهِبُ كذلك قيمه وطبيعة الحقيقية التي وجد من أجلها ألا وهي التواصل والتفاعل، فالإنسان داخل مجتمع ويتفاعل مع أفراد، وهذه الممارسات تقف عائقا في تواصله الطبيعي مع أفراد مجتمعه.

خاتمة

- يسعى هابرماس إلى إقامة قيم كونية مهمتها حفظ المستقبل الإنساني وقيمه الأخلاقية.
- تعرض الخطاب البيوإتيقي بالمرصاد إلى التجاوزات الأخلاقية على الكائن الحي، حيث نجد الكثير من الفلاسفة قد دق ناقوس الخطر على مستقبل وقيمة الإنسان إذ لم يتم تدارك هذا الأمر.
- وقف الكثير من الفلاسفة والمفكرين وقفة الرافضين للجانب العلمي والتقني ونادوا بضرورة إلحاق هذه التقنيات بالقيم الأخلاقية.
- تظهر القيمة الحقيقية والمستقبلية للإنسان عندما نحايث بين القيم الأخلاقية التي هي طموح الوجود الإنساني وبين الممارسات العلمية في هذا الإطار.

الملاحق

1.ملحق الأعلام:

اسم العلم باللغة العربية	اسم العلم باللغة الانجليزية
فلوبير	Flaubert
جان بوديار	Jean Boudillard
ألان تورين	Alain Touraine
جون ماري دوميناك	Jean Marie Domina
كريستوف كولومبوس	Christopher Columbus
غوتنبارغ	Gothenburg
رونيه ديكارت	Rune Descartes
مارتن لوثر	Martin Luther
هيجل	Hegel
كانط	Kant
مراد وهبة	Murad Wahba
ألبرت كامو	Albert Camus
أرسطو	Aristotle
أوجست كونت	Auguste Comte
تشارلز داروين	Charles Darwin
كلود برنارد	Claude Bernard
جاك لكان	Jack would have been
ماندل	Mandel
جيمس واتسون	James Watson
هنري اتلان	Henry Atlan
ريتشارد دووكر	Richard Docker
روبرت ادواردز	Robert Edwards
لويزا براون	Louisa Brown
لامارك	Lamarck

Andre Laland	أندري لالاند
Yurghin Habirmas	يورغن هابرماس
Bul Rykur	بول ريكور
Aymaniwil Lifinas	إيمانويل ليفيناس
Jak Diryda	جاك دريدا
Karl Atwabil	كارل أتوابل
Martin Hidghir	مارتن هيدغر
Firdirish Shlingh	فرديريش شلينغ
Harbirt Markywz	هاربرت ماركيوز
Karl Marks	كارل ماركس
Tywdwr Adwrnu	تيودور ادورنو
Marks Hurkahaymar	ماركس هوركهايمر
Aksal Hunith	أكسل هونيث
Awstun	أوستن
Siril	سيرل
Bidjinishtayn	بدجينشتاين
Alan Haw	آلان هاو
Fukuyama	فوكوياما

2.ملحق المصطلحات:

المصطلح باللغة العربية	ترجمته باللغة الانجليزية
الحداثة	Modernity
العقلانية	Rationality
لفتوحات العلمية	scientific revolution
التكنولوجيا	Technology
البيوتكنولوجيا	Bio technology
العلم	Science
التقنية	Technical
الثورة العلمية	Scientific Revolution
الثورة البيولوجية	Biological Revolution
الهندسة الوراثية	Genetic Engineering
الجينوم البشري	Human Genome
الاستنساخ الأجنة	Gene Cloning
الاستنساخ	Reproduction
الخلايا الجذعية	Stem Cells
التلقيح الاصطناعي	Artificial Insemination
الجنس البشري	Human Race
الثورة البيو طبية	The Biomedical Revolution
نسالة ليبرالية	Liberalism
القيم	Values
النزعة الإنسانية	Humanism

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1.قائمة المصادر

1. يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: علي مولا، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003.
2. يورغن هابرماس، جوزيف راتسنغر، جدلية العلمنة " العقل والدين"، تر: حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2013.
3. يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، تر: جورج كتوره، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، ط1، 2006.
4. يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995

2.قائمة المراجع

أ.باللغة العربية:

1. احمد راضي احمد ابو عرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، دار الفوائد لنشر، دار ابن رجب، القاهرة، ط1، 2010،
2. إدغار موران: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: هناء صبيحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي الإمارات العربية، طبعة 1، 2009.
3. اكسل هونيث: فيلسوف الاعتراف، تر: كمال بومنير، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 2015
4. آلان هاو: النّظريّة النّقديّة مدرسة فرانكفورت، تر: ثائر ذيب، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2010.
5. ألبرت كامو: الانسان المتمرد، تر: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1980.
6. البقصمي ناهدة: الهندسة الوراثية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دار النهضة العربية، الكويت، ط1، 1978.

7. بوخنسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عبد الكريم الوافي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، (د.س).
8. بوزيرة عبد السلام: طه عبد الرحمان ونقد الحداثة، جداول، بيروت، ط1، 2011.
9. حسن مصدق: يورغن هابرماس، ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 2005.
10. رضوان جودت زيادة: صدى الحداثة / ما بعد الحداثة في زمنها القادم، مركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط1، 1982.
11. رمضان بن رمضان: الفكر الديني تحت المجهر، مجلة البيبلوغرافيا، العدد 13، مؤسسة ملك عبد العزيز آل سعود الدراسات الإسلامية والإنسانية: دار البيضاء، المغرب، 2005.
12. ريتشارد ووكر، الجينات و DNAالحمض النووي الريبي المنقوص، دار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
13. زياد احمد سلامة: أطفال الانابيب بين العلم والشريعة، الدار العربية للعلوم، عمان، ط1، 1996،
14. سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة المعرفة، مجلس الثقافة للفنون وآداب، الكويت، 1984.
15. الشيخ جعفر حسن غريسي: الاستنساخ حل العصر، دار الهادي، بيروت، ط1، 2002.
16. طالبي أمين: الثورة البيوتكنولوجية وأزمة الانسان المعاصر نحو زوال منظومة القيم، التدوين،01، الجزائر،2022.
17. عبد الرزاق الداوي: موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر هيدغر– ليفي ستروس– ميشيل فوكو، دار طليعة، بيروت.
18. عدنان علي رضا النحوي: الحداثة في منظور إيماني، دار النحوي لنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1989.
19. العربي بلحاج: بحوث قانونية في قانون الاسرة الجزائري الجديد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط، 1، 2015.

20. علي حرب: أزمة الحداثة الفائقة –الإصلاح –الإرهاب –الشراكة، مركز الثقافي العربي، ط2، 2005.
21. علي عبود محمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.
22. عمر بوفتاس: البيوتيقا الأخلاقية الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجية، افريقيا الشرق، المغرب، 2011.
23. فاطمة الزهراء كرطي، العلاج باستخدام الخلايا الجذعية دراسة فقهية مقارنة، سامي للنشر والطباعة، الوادي، الجزائر، ط1، 2019.
24. فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، الإمارات، 2006.
25. فرانسيس فوكوياما، نهاية الانسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، إصدارات سطور، العراق، ط1، 2002.
26. فيصل عباس: الفلسفة والإنسان –جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة، دار الفكر العربي، بيروت، ط11، 1999.
27. مارتن هيدغر: الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1998.
28. مجموعة باحثين، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013
29. محمد سبيلا: الحداثة وما بعد الحداثة، دار توبقال لنشر، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
30. محمد سبيلا: عبد السلام بن عبد العالي، الحداثة وانتقاداتها نقد الحداثة من منظور غربي، دار وبقال، الدار البيضاء، ط1، 2006.
31. محمد شيكر: هيدغر وسؤال الحداثة، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1996.
32. محمد علي البار: اخلاقيات التلقيح الاصطناعي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1987.

33. محمد علي البار: طفل الانبوب والتلقيح الاصطناعي والرحم الظئر والاجنة المجمدة مع ملاحق فقهية، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، ط2، 1990.
34. محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (نموذج هابرماس) أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1982.
35. محمد نور الدّين أفاية: في النّقد الفلسفيّ المعاصر مصادره الغربيّة وتجلّياته العربيّة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
36. المحمداوي علي عبود: الإشكالية السياسية للحداثة، منشورات ضفاف، نهج بيروت، اريانة تونس، ط1، 2015.
37. مصطفى إن شاء الله: المجتمع المدنيّ حدود المفهوم عند يورغن هابرماس، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 2017.
38. مطاع الصفدي: نقد العقل الغربي والحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1990.
39. الناصر عبد اللاوي: الهوية والتواصلية في تفكيرها برماس، دار الفات، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
40. ناصر محي الدين الملوحي، طب الخلايا الجذعية، (الطب الخلوي الجذعي)، دار الغسق للنشر، سوريا، ط2، 2020.
41. ناهد البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني لثقافة والفنون وآداب، الكويت، العدد 174، 1993.
42. هنري أتلان واخرون: الاستنساخ البشري، تر: مها قابيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016.
43. يسرى رضوان: قضية استنساخ الانسان، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2000.

ب.باللغة الأجنبية:

1 the dilemmas of German bioetics the new Atlantis A journal of,Erik brawn Technology and soci,2004.

2 rationalité de l'agir"théorie de l'agir communicationnelle, : Jurgen Habermas et rationalisation de société, tome1, traduit de l'Allemand par Jean-Marc ferry, 1987.

3.قائمة المعاجم والموسوعات

1. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.س).
2. ابو منصور بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ترجمة: عبد السلام العرباوي، الجزء 4، دار المصرية لتأليف والترجمة، القاهرة، (د.س).
3. اندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، البنان، ط2، 2001.
4. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، جزء 2، دار كتاب اللبناني، بيروت، (د. س).
5. علي بن محمد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2019.
6. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مادة الثورة، دار قباء، القاهرة، ط5، 2007.

4.قائمة الرسائل الجامعية

1. أحمد شوال: قداسة الحياة الإنسانية والبيوتكنولوجية المعاصرة هانس يوناس نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة الطور الثالث، فلسفة تطبيقية، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر.
2. بن فريحة أسماء: التقنية ومصير الوجود الإنساني قراءة في نص التقنية الحقيقة الوجود «مارتن هيدغر»، مجلة مقاربات فلسفية، العدد 2، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

3. العمري حربوش: التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في فلسفة فرانسو داغوني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
4. لامية العرفي، التلقيح الاصطناعي في قانون الاسرة، مذكرة تخرج لنيل إجازة المدرسة العليا للقضاء، المدرسة العليا للقضاء، الجزائر، 2008.
5. موسى قروني: مشكلة استنساخ الأجنة البشرية بين البحث العلمي والقيم الأخلاقية، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة، الطور الثالث، تخصص فلسفة تطبيقية، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر.

5.قائمة المجلات والدوريات

1. حسام الدين فياض: هابرماس وثورة الجينوم فن التلاعب بالأجنة–رؤية أخلاقية مقالة في النقد الاجتماعي، العدد1، 2017.
2. داود خليفة: التقنيات الحيوية وسؤال الاخلاق، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد02، الجزائر، 2021.
3. سعاد حرب: في الفرد والحداثة عند نتشه، مجلة اوراق فلسفية، العدد الاول، 2000.
4. سعود المولة: تجاوز الحداثة، مجلة الملتقى، العدد الثالث، 2001.
5. سفيان عمران: البيوتيقا ومستقبل الإنسان عند فرانسيس فوكوياما، تحديات الثورة البيوتكنولوجية وسؤال الأخلاق، مجلة الباحث، المجلد 13، العدد 2، بوزريعة الجزائر.
6. عبد العزيز محمد الربيعي: حقيقة الاستنساخ وحكمه الشرعي، مجلة الشريعة والدراسة الإسلامية، العدد 49، 2002.
7. علي محمد يوسف المحمدي: الاستنساخ من الناحية الشرعية، المجلة العلمية بكلية الشريعة والقانون، العدد 150، 1999.
8. مجكدود ربيعة: مستجدات البيولوجيا، من المجال البيو أخلاقي إلى التوجه البيو سياسي في فلسفة فرانسو داغوني، سلسلة الأنوار، المجلد 13، العدد 2، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.

9. نقلا عن رفيق بوشكالة في مقاله، مأزق الحداثة/ الخطاب الفلسفي لمبعد الحداثة، مجلة اسلامية معرفة، العدد السادس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: بيروت، لبنان، 1999.
10. محمد بن سباع: دور التكنولوجيا في تحسين النوع البشري عند بيتر سلوترديك، مجلة الدراسات، المجلد 14، العدد 2، جامعة قسنطينة 2، الجزائر.
11. محمد بوحجلة: البيواتيقا كفلسفة جديدة ومسألة الكرامة الإنسانية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 1، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر.

الفهرس

الفهرس

العنوان	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ- و
الفصل الأول: الحداثة والفتوحات العلمية	08
المبحث الاول: مفهوم الحداثة وارهاصات نشأة الثورة البيولوجية	09
المبحث الثاني: الثورة البيولوجية النشأة والتطور	14
المبحث الثالث: التقنيات المعاصرة للثورة البيولوجية	18
الفصل الثاني: موقف هابرماس من التطور البيولوجي المعاصر	34
المبحث الاول: يورغن هابرماس سيرته الذاتية ومساره الفكري	34
المبحث الثاني: موقف هابرماس من تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة	39
المبحث الثالث: موقف هابرماس من تقنية الاخصاب الصناعي وعمليات الزرع بالأنبوب	45
الفصل الثالث: الفكر البيو ايتيقي في مواجهة مفرزات الثورة البيولوجية	51
المبحث الاول: العقلانية التواصلية ومستقبل الطبيعة البشرية	51
المبحث الثاني: الفكر البيوتقني بين المعارضة والتأييد	57
المبحث الثالث: مستقبل القيم الإنسانية	65
خاتمة	72
ملحق الأعلام	74
ملحق المصطلحات	76
قائمة المصادر والمراجع	79
الفهرس	88
الملخص	90

الملخص

الملخص

الحداثة ليست مجرد دعوة أو رسالة نبشر بها، أو مجرد استعراض انجزه الفكر الحديث، بل تتجاوز ذلك إنها مجموعة من التحولات المتتابعة والمتراكمة التي تعمل على تطوير المجتمع عبر تنمية علومه وأساليب تفكيره وطرقه في العيش، فكانت الثورة البيولوجية أحد نتاج هذه الحداثة من خلال تطوير تقنياتها العلمية التي أمكنت من إخضاع الجسد الحي إلى التجريب والسعي وراء تحقيق حلم خلق الإنسان السوبرمان الخالي من الأمراض والعاهات، ويتصف بصفات مثالية لكن هذه الآمال تعدت الحدود وأصبحت لا تراعي إنسانية الإنسان وقدسيته وخلقت أزمة قيم إنسانية، مما أدى إلى موجة غضب اثيقية فلسفية من طرف الفلاسفة والمفكرين، فكان الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس أحد الرافضين لهذه التقنيات، باعتبار أن التعديل في الخصائص الطبيعية للحياة الإنسانية هو تلاعب بالطبيعة البشرية والماهية الإنسانية، و بهذا يقدم نقدا لكل ما جاءت به العقلانية الأداتية، ويقدم البديل الذي يتمثل في العقلانية التواصلية كفاعلية في كبح التطور العلمي والتقني، وأعاد طرح السؤال الأخلاقي حول مستقبل الطبيعة الإنسانية .

الملخص

Modernity is not just a call or a message that we preach, or just a show that we perform

Modern thought goes beyond that, as it is a set of successive and cumulative transformations that work

To develop society by developing its sciences, methods of thinking, and ways of living. The biological revolution was one of the products of this modernity through the development of its scientific techniques that made it possible to subject the living body to experimentation and to pursue the dream of creating a superman free of diseases and disabilities and characterized by ideal qualities, but these hopes have exceeded limits. It has become insensitive to human humanity and sanctity, and has created a crisis of human values , which led to a wave of bioethical-philosophical anger on the part of philosophers and thinkers. The German philosopher Jürgen Habermas was one of those who rejected these technologies, considering that modifying the natural characteristics of human life is a manipulation of human nature and human essence. Thus, he presents a criticism of everything that instrumental rationality came up with and presents the alternative, communicative rationality, as effective in curbing development. Global and technical, and re-posing the ethical question about the future of human nature